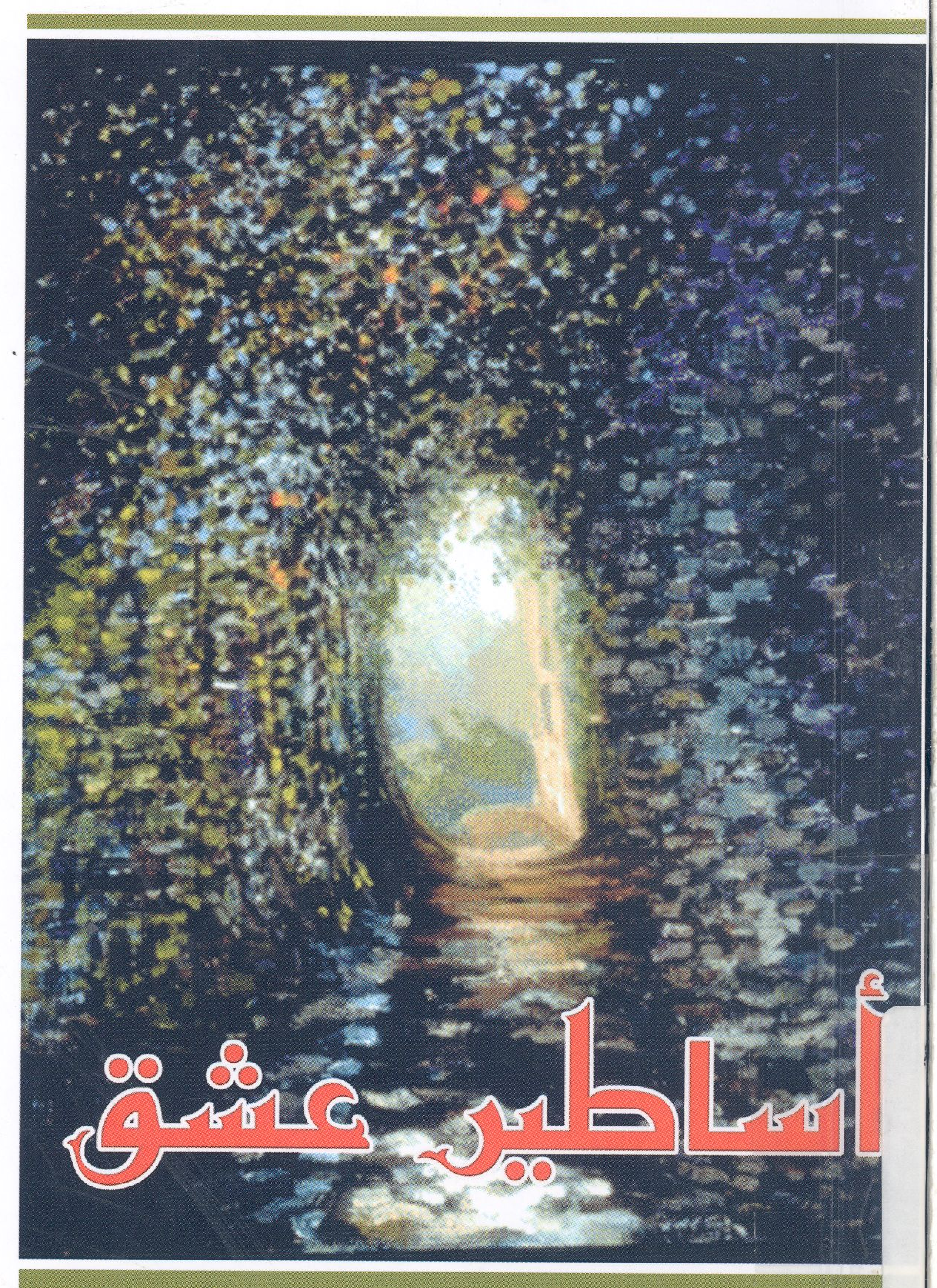
سعاد علي العريمي



أساطير عشق

مجموعة قصصية

أساطير عشق

سعاد علي العريمي

مجموعة قصصية
اغسطس
٢٠٠٧

الناشر
وزارة التراث والثقافة
ص . ب : ٦٦٨
الرمز البريدي : ١١٣
هاتف : ٠٠٩٦٨٢٤٦٤١٣٠٠
فاكس : ٠٠٩٦٨٢٤٦٤١٣٣١
سلطنة عمان

الفهرس

إهداء:

إلى من غمرني بفيض جوده، رب "عظيم" بصفاته العلا وأسمائه الحسنى،

وأكرمني بنعم كثيرة وأجملها:

- رسول كريم "سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات والتسليم".
- ودين قويم.
- وبلد جميل "عمان" ومدينة حسناء "صور".
- وأهل كرماء الروح.
- وصديقتي "سالمة" وصديقات رائعات.
- وكاتب كريم "ناصر صالح الغيلاني".

وانقضى ما كان

المكان : محكمة أساطير الهوى وخرافات البشر.

الزمان : مضى عليه ألف ألف قرن من الزمان.

القضية : قضاء بذبول وتمرد وهروب.

عجّت المحكمة بالحضور ممن توافدوا عليها منذ الساعة الخامسة، ازدحمت القاعة بالحضور، وبقي الفائض خارجها ينتظر الحكم.

أغلقت أبواب القاعة، صوت مدو، قال : مح...ك...مة ، دخل القاضي، وما أن جلس على كرسيه حتى هوى بالمطرقة على طاولته الخشبية إيذانا ببدء الجلسة. فتح سجل القضية بحزم القضاة، وقرأ: القضية هي (قضاء بذبول، وتمرد وهروب)، ولا بد هنا من أخذ أقوال المدعي والمتهم والشهود.

المدعية: سوف أسرد لكم القصة من البداية، هذا المتهم، قد قام باختطافي من عالمي، ودوخني بتعاويذ شعره ... وحشا سمعي بكلماته ..ملأ عقلي بخرافاته .. اغتصب قلبي.. وأذاب زهور الأرض في شراييني .. وضرج خدودي بورود حمر، وملك جوانحي .. وأنبت الزغب بيدي كي يزرع لي أجنحة .. وملأني بالندى.. وألبسني البحر .. أهداني سلال تفاح وزيتون ..طهرني بروائح أطفال .. توجني بعقود الياسمين .. طوق عنقي بنجمتين .. سار بي في فضاء الليل .. قفز بي إلى قوس قزح وألوان الطيف، طار بي إلى أفلاك النور، رأوني فخجلت، فرحوا بي، فابتسمت، طلبوا حديثي،فصمت، وارتجوا سماعي، فنبست، تطايروا حولي، فبهت، وأقبلوا يشتهون محادثتي، وما أن تكلمت معهم حتى فر مني، يخبئ الدموع التي سكنت عينيه، تركني وحدي، وقرر بذلك عقابي، وما أذنبت، وأسراب أطيافه تلبسني، وبقيت الوحيدة الشريدة، ومرت أيامي دهورا، وذات يوم جاء يرتعش من برد الجفاء.

قال: العفو والمغفرة سيدتي .. أرجوك .. العفو والمغفرة، فلا مغفرة بدون عفو، العفو يا سيدتي .. العفو .

قفز بي الشوق إليه، ومحوت ذنوبه، أهداني الفجر ونوره، فقبلت .. ورجعت معه حيث كنا .. إلى عالمه والعيش بمناخاته الخرافية المضمخة بالبخور.

وكان ذات ساعة ليلية حالكة جاء، وثقب أذني بقرار من حديد ..ثقب أذني .. مزق قلبي الأحمر .. أذبل ورودي .. ونفض قطرات الندى عني .. وقرر ذبح قلبي .. وسفك دمي .. وسكب دموعي .. وقطع شراييني .. وتركني، وذهب.

وحاولت اللحاق به، ولم أستطع.

وقال:اذهبي.

فما حكمك أيها القاضي ؟ أرجوك، الإنصاف فإني ما زلت أنزف .. وما زالت جراحي ترجف.

القاضي: وما قول الشهود فيما قالت؟

فليتقدم الشاهد الأول، وتبين أنه الليل.

تكلم الليل قائلا: إني أؤكد قولها، فقد عاشت السهر بحلاوته ومرارته.

" وشهد شاهد من أهلها "، خرجت كلمات من الجمهور.

الشاهد الثاني، البحر: هذا والله ما رأيته وعشته معها، فقد صدقت وما كذبت.

الشاهد الثالث، الفجر: سمعتها دائما تهديه الصباحات.

القاضي يوجه كلامه للمتهم: ما أقوالك ؟.. إما أن تنفي أو تؤكد.

المتهم يغص في صمت دائم، لا ينبس بحرف، يصرخ الشهود: تكلم .. ويموت في الصمت .. وبعينيه ألف ألف أسطورة لحزن.

الليل يصرخ: إنه لا يريد أن يتكلم، ولكني أقول الحق والحق أقول، إنه يريدها ولا رغبة له في سواها، ودليلي على قولي أني أراه يمزق قناع القوة والصمت عندما أحضر .. يبكي وكأنه طفل ..فارحموه ..ارحموه.

يهدر البحر بقوله: قد يكون مثلي مليئاً بالأسرار .. فأوجدوا له العذر.

ويأتي الفجر وسكونه، قائلاً: لم أعرف سواه عاشقاً لنورها.

القاضي: أحكم بأن تعيدها إلى عالمك، وتهديها الأقمار والشموس، وتلبسها الزهور وأوراق الشجر، وتسكبها بعروقك عطوراً، وتسكنها البحر.

وما أن سمع الحضور الحكم حتى قاموا مصفقين مهللين، ويخرج الجميع وأطياف السعادة تحملهم يزفون الخبر إلى من بات على لائحة الانتظار.

٢٠٠١/١١/١٢م

خطوات



ها قد بدأت الأجواء تتوشح وشاح السواد؛ لتخفي أنوارها المتثائبة، وتستر وضوح قسماتها النهارية؛ لتعلن عن بدء فصول مسرحيتها الليلية القابعة في غياهب جب السكون الخالية من كل شيء، إلا من عيون أضواء خافتة، وبقايا بعض أصوات متسكعة بين أرجائها المظلمة.. وهنا تبدأ سيمفونية الليل تجتر أحزان جراح ثكلى، حيث يربض بسريره الذي بدأ يعلن عن طقوس استقبال جسده المتكوم به .. وعلى عتبات تراجيدية الليل يقف متفحصاً جراحه التي ما زالت تنزف دماء الأحزان المطبقة بأوردته، وقد بدأت برقصاتها المرتعشة مع التهاب (دمائها) بأحزان الظلام وكأنها تمارس شعوذات شيطانية غريبة.

وهنا يتوقف عرض صور جراح نبشها سكون العزلة بأنامله المتقصفة.. هنا حيث تتهاوى أجساد متوجعة؛ لتبني أسوار وجودها المظلوم ..

هنا حيث تتحول الأجساد إلى ينابيع دماء طاهرة، والمضاجع إلى آلام، والتقديس إلى احتقار .. وهنا تموت تلك التي ميزته والتي وضعته في قائمة لا يستحق أن يتربع عليها، قائمة فقط نظرت إلى بنود تصنيفه الوجودي، ولم تطبق عليه وعلى جميع من وضعتهم ضمن تصنيفها إلا مبدأ واحد فقط مهزوم، وهو: (أن العجز عن الإدراك إدراك) فكيف يكون العجز عن الوجود وجودا؟..هنا رست سفن أوجاعه الأسيرة حيث مرفأ الحزن الممتد إلى اللاحدود، بعد أن ملّت من رقصاتها المتكررة على ألحان أمواج زائفة.

لم يستطع تحمل وجع الجرح الذي يمتد ليتعسجد بكل زاوية من جسده المتهالك على سريره الذي بدأ يلفظ أنفاسه بعد أن شهد تأجج معركة جراحه، وها هو ينزع جسده من ذلك السرير، ينتصب على عكازي هيكله النحيل، تجره قدماه إلى حيث كان يعلن انهزام جراحه، إلى حيث أناخت ركابها، إلى أحضانها الدافئة.

سيل من النداءات تقاطر على سلسلة تفكيره:

- ها أنا قادم إليك يا أميرة قلبي، ويا أحلامي السرمدية، وصفحات تاريخي.
- ها أنا قادم إليك وجراح الانهزام.
- ها أنا قادم.

خطواته تقتل أنفاس المسافة بنهم وشبق شديدين، يصل إلى حيث تقبع، يرتمي بأحضانها، يطوق خصرها بذراعيه، يدور حولها وكأنه يرسم دوائر لرقصته الحزينة في فضاءات المساء ... دموع الفرحة والحزن تمتزجان بعينيه، تتساقط شلالات حارقة على وجنتيه، تتناثر هنا وهناك، تجرجر خلفها سديماً من الضياع والتمزق، يجهش بالبكاء، شفتاه تخنقان علامات استفهام هي وليدة الجرح، وقلبه يكاد ينفطر من لوعة الهزيمة ... ويصرخ هنا:

- ماذا أفعل؟
- كيف لي أن أستعيد ذاتاً فقدتها؟
- ولم نكتف بنصر البكاء؟
- ولم؟.. ولم؟
- ولم؟؟؟

هي صمت يقتله صمت آخر.. وسكون إجابة .. وإبهام كلمات ... وهنا يبدأ غضبه المأسور يثور، يكسر قضبان زنزانته اللعينة، يصرخ:

- أجيبيني أرجوك.
- أجيبيني..
- أجيبيني...

وهي لا تزال مستمرة في سلسلة صمتها القاتل.

دموعه تزداد والجرح يمزق قلبه، وعلامات استفهام أخرى تسرطها شفتاه؛ لتعلن بذلك انكسار قلبه، تتكرر بزحام عقله؛ لتعلن في الأخير انتصارها، وتخرج مندفعة بمرارة الحزن:

- ماذا أفعل ؟
- آه .. لم نرضَ بعزة مزيفة، وسيادة مخدوعة؟
- لم نرضَ بذلك؟..لم؟...

هنا يتمكن الحزن منه إلى حد الإنهاك ليعلن عن تحطمه المؤجل، ليسقط جاثياً على ركبتيه، وبكاؤه يزداد وكأنه يريد أن يعلن نهاية الاتفاق المعقود بين جسده وروحه، يرمي برأسه على الرمال المنتصرة بإعلان عزة وجودها، يرفعه وآثار بصاق الرمال ما زالت ترمز لاحتقاره وبغضها له، قدماه تنصبان جسده المتصدع من أثر ضربات فؤوس واقعه المهزوم، والجرح يتعمق بعجزه عن تحريك ساكن موجود.

وهنا تبدأ خطوات الانسحاب من الواقع المتمرد، هنا يقرر أن تكون الأكفان ناعمة. يصل بخطواته إلى ذلك المكان الممتد في قاموس اللانهاية، وتبدأ طقوس تكفينه بأولى الخطوات، وهنا التكفين يسبق الموت، حيث تبدأ الأكفان الرقيقة بتطويق قدميه، فساقيه، ولتصل إلى حد الفيصل، إلى كتمان أنفاسه، ولتدس روحه في بالونات مدورة شفافة ما تلبث أن تنفجر بعد ملامستها لسطحه، يتهاوى إلى الأعماق المتلهفة لاستقبال أكوام جسده لتختم طقوسها الجنائزية.

أرجاء الوجود تثير صخباً حزيناً حيث السماء، وتلونها بألوان رمادية باكية، تمد خيوطها البيض لتغسل دماءه . أصوات المساء وأضواؤها تختم آخر فصل من تراجيدية ليلية هاربة من أصابع الضوء الممتدة، وهي هناك تحاول أن تطبق بآخر لمساته التي ما زالت تسري كتيارات كهربائية بجسدها المتصلب، والدموع تتساقط من أعلى رأسها بغزارة معلنة بذلك عن نصر بكاء آخر.

٢٠٠٠/١١/٢٥م

"حكايةُ يُتمي "

هكذا قررت أن أنزف دماء جراحي عليك، وأن أسجل عزلة يتمي على سطورك، وأن أكتب بقلم الألم، ودموع الحزن.

هكذا قررت هذه الليلة لعلي أسكت شهقات البكاء داخلي، ودموعي النازفة بقلبي دما ..هكذا أبدأ حكاية اليتم ..من أول لحظة أصعق بهذا الذي يسمونه يتما، يوم سمعتهم يقولون: "ماتت أمك"، وأنا ما زالت ورقتي العمرية الخريفية التاسعة لم تسقط بعد.. هكذا .. فجأة فقدت أمي .. سلبني المرض إياها دون إذن، اندفع يخطفها من وجهي؛ ليزرع به لون الفقد. هكذا وجدت نفسي طفلة تفقد أمها، ومسؤولة عن أختها التي تصغرها بسنتين.. بكيت كثيراً .. ولم أجد حضن أم يؤويني ..أو فخذ امرأة أتوسده، وتنهمر به دموعي ..

مساء تلك الليلة كان حالكاً .. ودموعي بها أشد سواداً، وأختي تبكي لبكائي، فدائماً إذا ما مرت غيمة حزن أو فرح بأسرة إما أن تمطرهم دموعا أو ابتساما، وقد أمطرتني حزنا، فأختي، فأبي الذي أبت رجولته إلا أن يخبئ دموعه، وبكاءه، وما أقسى بكاء الرجال على القلب ..بكينا جميعاً، فضمنا إلى صدره ليزيد من قوة إعصار هذا الألم الماطر دمعاً حارقاً ..تلك الليلة الكل لم ينم .. ولكن بحكم صغرنا أخذنا النوم في الساعات الأخيرة من الليل.

مر أسبوع على حدث جلل ..عاد بعدها أبي ليواصل مهنته المعتادة منذ الساعات الأولى من الفجر، بعد أن أقام صلاة الفجر جماعة في المسجد وتلا قرآن الفجر ..جاء ليحمل شباك الصيد.. ويوقظني للصلاة، ورأيته يعد القهوة، ثم بعدها شرب فنجانين منها ليطرد النعاس، ويعلن ثورة العمل بجسده .. اتجه للبحر؛ لاصطياد السمك، ثم لبيعه في السوق ..ثم ها هو يرجع بسمكة لتكون غداءنا ..ها هو يعلمني كيف أطبخ؛ فهو لن يستطيع أن يكون في البيت دائما، يعلمني كيف أطبخ الأرز المسلوق، وأشوي السمك، وها هو يعد مائدة الطعام، ويضيف إليها حبات التمر.

بعد أن اجتمعنا للغداء، نصحني بأن أهتم بأختي ..وأعتني بنظافتها وملبسها وشعرها..أنا التي لا تستطيع أن تجيد هذه الأعمال، ولكن بحكم أني الأنثى الوحيدة في البيت؛ كان لابد أن يكون هذا هو عملي، وفعلا أخذت أقوم بما تقوم به أمي، أحاول أن أجيد عملي الذي طالما أخطأت فيه كثيراً حتى أجدته، أتذكر يوم طلب مني أبي أن أعد له للعشاء سمكاً مشوياً على جمرات خشب السمر، قمت بذلك، ولكني لم أُجِدْ ذلك، فعندما تناوله أبي وجده نيئاً من الوسط فأعاده إلى النار، وأخذ يعلمني كيفية إنضاجه ..ومع مرور الأيام اعتدت على هذه الأعمال. وفي يوم من أيام سنتي الرابعة عشرة وجدتني أدمي ..فبكيت ..وأخبرت والدي ببراءة أطفال ..فربت علي.. وأخبرني بأن هذا أمر عادي يحدث لكل أنثى، وقال لي : " يا ابنتي تستري..ولا تعلمي أحداً بذلك، وحاولي إخفاء هذا النزف الرحمي "،فعلمت بفطرتي كيف أخفي ذلك .

وفي ليلة من ليالي الشتاء الباردة، ومع انتهاء صلاة المغرب ..سمعت طرقات بالباب، فأسرع أبي لفتحه، وكنت إلى جواره ..فإذا به عمي، تبادلنا معه المصافحة، فتلاقت الأكف والأنوف تعبيراً عن الشوق والود كعادة من عاداتنا. رحب أبي بعمي ..وتبادلا التحية والأخبار، بعدها طلب مني أبي أن أحضر القهوة، بعد أن شعر بأن لدى أخيه أمرا ما ..فأراد أن يصرفني، وفعلا أخذت أعد القهوة على النار، ثم أحضرتها لهما وانصرفت، ولم أدرك بأنهما يخططان لأمر ما .

وبعد مرور شهر، في ليلة كانت هادئة، ينيرها جمال قمر أكمل وجهه الجمالي الرابع عشر، جاء أبي بعد صلاة المغرب؛ ليقول لي : (ابنتي أردتك في أمر ما، اجلسي)، فجلست (اسمعي يا ابنتي اليوم سيكون عرسك، فاذهبي؛ لتستحمي، والبسي ملابسك الجديدة، وهذا الذهب الذي اشتراه لك زوجك وابن عمك " صالح") ،فما أن أكمل كلامه حتى انفجرت أبكي بكاءً صامتاً، يجرح قلبي، ويقيم كل ألوان الحزن بحياتي ..فأنا وأبي بحكم العادة والتقليد لا بد أن ننفذ

هذا الطلب "البنت لابن عمها"، بكيت ..وتمنيت لو أنني مت قبل هذا، وكنت نسيا منسيا..أشعر أن بكائي وحزني يتفجر براكين في قلبي ..أبكي، ولا أدري لماذا هذا البكاء القوي الحزين الجارح الذي يمزقني ؟!.

بعدها جاءت جاراتنا النسوة؛ ليساعدنني في التجهيز لهذه الليلة التي كرهتها من بدايتها ..وأحسست بأنها كالدهر لطول حزنها ..ثم جاءت نصائح أولئك النسوة : (افعلي كذا ..ولا تفعلي كذا)، نصائح أحسست بأنها قذرة كهذه الليلة التي أحس بأنها تدنسني، كنت صامتة..لا حول لي ولا قوة، ثم سمعت بعدها أصوات الغناء والطبول ..كنت أحس بأنه عزاء من نوع آخر ..عزاء يتحول فيه البكاء إلى غناء ..والخشوع إلى طبول، أشعر بأن صوت هذه الطبول في صدري، وكأن أيادي من يقرعها تقرع بصدري، ثم جاءت تلك الساعة التي دخل بها صالح؛ لتختفي أنوار الغرفة الكئيبة، وأحسها تطبق على صدري.

جاء صباح اليوم التالي، وأصبحت زوجته وأنا في الرابعة عشرة من عمري ..وأنجبت أبني الأول "ناصر" وأنا في الخامسة عشرة من عمري، سكنت مع أبي؛ لأن زوجي راتبه لا يساعده على إقامة منزل جديد، عشت مع أبي يدفئني بحنانه، بعدها قرر زوجي "صالح "أن يأخذني إلى بيتهم، فنزلت بقريته القريبة مني الغريبة عني، أحسست بدهشة أولئك الساكنين بها من هذا الجمال الذي يسكنني، أنا التي عانقت وجه البحر، وسموت مع سمو تاريخ بلدتي البحري، وأصبح وجهي يشع بياضا كشواطئها الرملية. وكنت أسمع همسات النساء عندما يأتين لزيارتي، والقصد معرفة كنهي .. "كم هي جميلة،لم اعتقد أن ابنة راشد بن سعيد بهذا الجمال!!! "،تهمس امرأة ، فترد الأخرى : "أما سمعت بجمال أمها !!! "،كن ينظرن إلي بنظرات تفضحها وجوههن التي كشفت عن إعجاب ..استغراب.. ومرت الأيام وأنا أحاول أن أنسجم

مع نساء هذه القرية، وأرضها، ولكني كنت دائما أحن لأبي الذي ما تركني يوماً واحداً، وإن لم يحضر لزيارتي كان شوقي له يحملني إليه ..وما أن أدخل حتى تأتي أختي مريم؛ لتحضنني وابني "ناصر"،فتأخذه، تغريه باللعب معها، وبالحلوى التي دائما ما كان أبي يحضرها لنا مذ كنا صغاراً، كنت أحب الحلوى التي نسميها "سكر عدن"،خاصة ذلك النوع الذي يلون شفاهنا بلونه الوردي الجميل.

وفي ساعة نهارية من زيارتي لهم ..طلب أبي من مريم أن تنصرف لإحضار القهوة،والقصد إزاحتها من هذا الموقف،وبعد انصرافها قال لي : (فاطمة،أريد أن أقول لك بأن أختك مريم خطبها شاب من كبار تجار السفن .. وله أصلٍ وصيت معروف، وأنا أعطيته كلمة).

ذهلت ..(ووافقت عليه، ومريم لم تبلغ الرابعة عشرة من عمرها!!..مريم ما زالت ابنة اثنتي عشر سنة!!)، فقال: (البنت إذا كبرت أسرع بسترها، قبل أي شيء).

وتزوجت مريم بعد أن رفضت الأمر، وحاولت أن تقنع أبي بأنها لا تريد أن تفارقه ..فقلت لها: (يا مريم ..ليس لنا إلا الدموع، وهذه العادة والتقليد دائما ما تسيرنا ..يقولون بالستر ولا يعنيهم غيره). وعاشت مريم بعدها في بيت زوجها، فتاة صغيرة أول مرة غسلت حيضها في بيت زوجها، ولكنها وجدت زوجاً ينقلها من ذل اليتم وحزنه الذي يقبع في القلب، إلى قلب زوج أسكنها غرفة وجعل ما تقوله فروضاً واجب تأديتها، محظوظة أختي مريم إذ تخلصت من زنزانة اليتم والشتات، وأنا التي اعتقدت بذلك لم أنقل إلا من يتم رحيم في كنف والد حنون إلى اليتم الذي ليس له إلا الشتات عند زوج لا مبالٍ، اعتبر زواجي أمراً مطلوباً تنفيذه، مصدر قرار التنفيذ من محكمة أب أراد لابنه أن يصنع له حياة استقرار في كنف حياة زوجية مشتركة، تلزمه

المسؤولية فيما بعد بأمور يستقيم بها ،ومنها : "العودة إلى أفضل النعم الصلوات الخمس، المسؤولية عن زوجة ثم أبناء، النظام، الانضباط، الانصهار في بوتقة الأمانة الكبرى" الأسرة ".

.. ولكن أمر صالح يزداد اعوجاجا يوما بعد يوم، ولا يتقي الله؛ فيكفر عنه سيئاته، جاء ليلة من الليالي، ومع الأيام الأولى لوجودي في بيته المتواضع جدا ، حجرة من سعف النخيل مسورة بالسعف، جاء يطرق الباب الخشبي ورائحة السكر تنبعث من فمه، وأصوات أخرى معه تميع سكرا، ارتعشت خوفا.. أنا أنهض من نومي على هذه الأصوات !!!.. أحاول أن أستنكر ذلك؛ لعلي في كابوس، ولكن الأمر واقع لا محالة، في هذه اللحظة أحسست بخنجر اليتم يهوي على آخر لحظة أمن تسكن بقلبي ..فتحت الباب، احتضنت ابني "ناصر" ،وخوف نزعني منهم لا أعلم كيف ؟! ، فانطلق يحملني إلى بيت جارنا، أطرق بابه باكية، يفتح الباب على دموعي ونوحي، وطفل صغير نبحث عن أمان، استجرت به فأجارني ..وقضى على تلك اللعنة التي جاء بها زوجي بأن انطلق إليهم بعصاه يضربهم بها وبكل قوته، ويصرخ في وجه زوجي : (ألا تخجل من نفسك..أين حياؤك؟؟!،هذه ابنة عمك،وتجلب لها حثالة البشر؟؟!!!! ألا تتقي الله فيستر عيوبك؟!!!).

هناك كنت أنثر دموعي جمرات حارقة، تحرق ضلوعي، وتعلن ذل أن لا تجد من يكون لك عوناً وسنداً ضد مكاره الدنيا، أبكي مع زوجة جاري بكاء يزرعني بكل شتات، فيورثني هماً وحزناً ينهشان قلبي. بعدها جاء جارنا "سالم" لينام بغرفته .. وتنام معي زوجته في الغرفة المقابلة، تحاول تهدئتي، هنا أحسست بطعم الحنان ولذته الذي افتقدته منذ زمن طويل طويل.لم يطرق النعاس أبواب جفوننا إلا في الثلث الأخير من الليل الذي بدأته بطقس الشكوى لله رب العالمين، فإن شكوت لها ما أعانيه من "صالح" ؛ لزدت من حزنها علي، ولن تستطيع نفعي .. وإنما أشكو حزني إلى الله.

فكان ابني "ناصر" رحمة من ربي، خاصة عندما قررت روح والدي أن تجاور رسولنا الكريم في مسجده.. أحببت ابني "ناصر" فكان لي حدائق من نور، ومدناً من دفء. ولكن الموت لم يرحمني، فانتزع روحه في أحد الصباحات التي تحولت إلى ظلمات استوطنت قلبي، هنا أحسست بأن حكايتي واليتم، لا بد لها من صبر جميل، صبر جميل.

٣/٥/٢٠٠٣م

وادي المعاول/حبراء

- إهداء إلى: (الصير والبحر)،

(البحر..والفقد..؟!!)

لن يقام لك حفل تأبين، كما يقام للمشهورين، ولن يقام لك موكب جنائزي تملؤه الزهور والأعلام وكبار أناسهم.. نحن البسطاء.. هكذا نأتي إلى الحياة غرباء، ونخرج منها غرباء..

جئت إلى الحياة غريباً إلا من روحك التي تسكنك وتربطك بخالقك، أطلق عليك أهلك اسم (أحمد)، وكنت أحمد معظم لحظات حياتك .اسمك أحمد ملأك بالحمد وروحك امتلأت بكرم جميل، عشت إلى جوار أهل أغرقوك كرما وحبا، فأصبحت كما توقعوا إنساناً ملؤه كرم. فأغدقت هذا الكرم على أهلك وعلى أصدقائك، فأكرمتك الأيام بصديق مازجت روحك روحه؛ ربما أن كلاً منكما تموج روحه كرماً وحناناً وطيباً ودفئاً، عرفته منذ سبع سنين أو ثمان، مذ عرفته، أصبحت أسعد، وأصبح هو كذلك، أحببته، وأحببت قريته الصغيرة الهادئة، صلتك به تزداد عمقا، لم تنقطع هذه الصلة عبر هذه السنين ولو ليوم واحد، كنت تبحث عن روحه كل يوم ؛ لتعانق دفء روحك، وإن منعك بُعد مكان عملك اتصلت به . كنت تشاركه كل شيء، وهو كذلك، استمتعتما برحلات بحرية وبرية كثيرة، وبأحاديث سمر جميلة، كان آخرها تلك الليلة التي وصلت فيها إلى أرض الوطن بعد رحلة علاجية لابن أختك الذي تعرضت قدمه لكسور كثيرة بعد سقوطه من جبل في رحلة صيد للطير البري، وصلت إلى بيتك، وأخبرتهم بأنك ذاهب إليه، كانوا يعلمون مدى تعلقك به، وأكدوا ذلك أن جل حديثك كان عنه: "جمعة فعل، وجمعة كذا.." دلفت إلى مجلس الرجال ببيته، ودفعك شوقك إليه إلى احتضانه معبراً عن هذا الفقد، ولم تكن تعلم بأن للفقد معك ومعه حكاية أكثر ألماً، تبادلتما الحديث عن تلك الرحلة، وتدافع أصدقاؤه للترحيب بك..استمرت الأحاديث إلى قبيل منتصف الليل، وقبل خروجك من بيته طلبت منه إعارتك صنارة صيد من قاربه، فقد قررت أن تحتضن الصديق الآخر (البحر) شوقاً وحباً، حملت الصنارة واتجهت لبيتك، واستسلمت للنوم .

في الساعة الخامسة صباحا وبعد أن أقمت صلاة الفجر، اتجهت ومعك اثنان من إخوتك اللذان يكبرانك سنا إلى البحر، وقبلها احتسى كل منكم كوبا من الشاي، ولجتم إلى البحر، وكان كعادته (خليج عمان) هادئا في معظم الأيام، تحرك القارب في الساعة الخامسة والنصف، وشق طريقه في البحر، وروحك أيها العاشق للبحر تتنفس البحر حياة ونوراً، ابتعدتم كثيراً عن شاطئ البحر، وألقيتم بالصنارات في البحر، وتبادلتم أحاديث البحر وأهازيجه راجين أن تزداد أرواحكم نورا؛ فيزداد القرب من رب هذا الكون، فيهبكم رزقاً واسعا من لدنه، وما هي إلا ساعات حتى انقلبت الأجواء، وهاجت الريح، واضطرب البحر، وأعلنت تياراته التمرد على قاربكم الصغير، وهاج كل شيء، في هذه اللحظات راودكم شعور غريب بأن شيئاً ما ينتظركم، شيئاً مفزعاً، ومع تزايد هذا الاضطراب، قررتم الارتماء في البحر قبل أن ينقلب قاربكم، أعطيت كل واحد من إخوتك طوق نجاة، وطلبت منهما أن لا يتحركا، وقررت أن تتجه إلى الشاطئ وتطلب النجدة لهما، وأيدت هذا الأمر بأنك تجيد السباحة، وبدأت رحلة الصراع مع الموج والريح، تحاول أن تتقدم وموج البحر وريحه يرجعانك إلى الوراء، لكنك في أحيان كثيرة كنت تتغلب عليهما.. بدأت هذه الرحلة من الساعة التاسعة صباحا وختمتها في الساعة الثالثة ظهراً، هنا عندما رأيت قارب أحد الصيادين ولوحت له بيديك المنهكتين، اللتين سرى بهما برد الموت، كما سرى بجميع أجزاء جسدك العشريني، هذا البرد لم يكن غريبا عليك، راودك وأنت طفل صغير في السادسة من عمرك عندما أغرقك البحر، وحسبوك مت، ولكن دفء الحياة دب إلى جسدك منتصراً على هذا الذي يسمونه موتا. أسرع إليك الصيادون، ونقلوك إلى قاربهم، كان جسدك طرياً جداً كطراوة لحم السمك، وكان يميل إلى البياض ممتزجا بزرقة باهتة، أخبرتهم بأن أخويك ما زالا في البحر، وطلبت مساعدتهم .. وفعلاً اتجهوا إليهما وأنقذوهما ..

ووصلت شرطة (خفر السواحل) الذين كانوا من الجهل ما يبلغ بك حد القهر، ما زالت الحياة تدب في جسدك.. ولم يجروا لك أي إسعافات أولية، اكتفوا فقط بإراحتك على أحد جانبي جسدك، واتجهوا بك إلى المستشفى، وفي الطريق إليه أعلنت روحك الانفصال عن جسدك، أُدْخلتَ غرفة الطوارئ، ووضعت في أول سرير، والأسرة المجاورة لكَ وضع بها أخواك، هرع الأطباء إليك علّ شيئاً من الحياة ما زال بجسدك، ولكن، وللأسف كيف بحياة أن تقاوم سبع ساعات في مجابهة الريح والموج والموت.

هنا يا أيها الصديق الذي كنت تحاول الاتصال به وبالتحديد في الساعة التاسعة صباحا فيتعذر هاتفه، هنا وصلك اتصال في الساعة الثالثة والنصف من أحد الأصدقاء يخبرك بأن صديقك أحمد مات غريقا، وما زال جثمانه في المستشفى، حملك الخبر إليه في حادثة لا تستطيع استيعابها إلى الآن، ولجت إلى قسم الطوارئ، وعرفت مكانه من أهله والأطباء المصطفين بجانب سريره، وجدته مسجى على السرير، وأعلنوا لك موته، أوجعك هذا الفقد المفاجئ، وزادك حزناً الألم الذي بثه والده العجوز عندما قال لك : "جمعة.. ذهب أحمد!!"، دموع والده العجوز زادتك ألماً، فتدفقت دموعك معلنة وجع هذا الفقد الذي دائما ما يأتي مفاجئاً.. كنت معه صديقك الذي فارق الحياة هذا اليوم، ابتهجت إلى هذه الابتسامة التي تعلو وجهه، تابعت مع أهله مراسم دفنه، وكل لحظة تؤكد لك أنه فارق الحياة، وأعلنها التراب الذي أهيل على جسده، خرجتم من المقبرة إلى حيث مكان استقبال المعزين، وهناك بدت لحظات الحزن أعمق وأكثر ألماً..

لم يصلنا الخبر إلا بعد صلاة المغرب من أخي "سلطان"، تأثرت أمي بهذا الفقد بشكل كبير، فقد تعودت عليه طيلة هذه السنين، خيم على البيت سكون حزن تلك الليلة، وللحزن سكون يرادف الموت ألماً، كنا في انتظار الأخ المرتقب الذي فقد في هذا اليوم أقرب إنسان له، وصل في العاشرة، وما أن دخل، خرجت من فمه كلمات

إعلان هذا الفقد : "ذهب أحمد" ومعها رفع ساعديه وطرحهما، وكأنه يشير إلى أن هذا الصديق طار بروحه إلى حيث اللارجعة، فهرعنا إليه، ارتمينا بأحضانه، ولم يسقط دمعة، كنا نحس بهذا الحزن العميق في صدره، أذهلني صبره الذي من الأكيد أنه لم يأت هباء. طلبنا منه النوم معنا هذه الليلة، فاستجاب لذلك، قبلَ نومه، تفقد صور هذا الصديق بهاتفه، وطلب منا رؤية هذه الصور، فازددنا حزناً عليه، وعلى فقده لهذا الإنسان الرائع، آلمنا قوله: بأنه كل يوم كان يتصل به، فمن سيتصل به الآن، هل سيرن الهاتف يوماً، فتظهر على شاشته:

أحمد سعيد

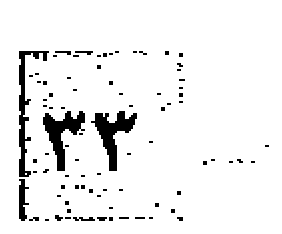
يتصل بك ؟؟!!

٢٠٠٧/٤/٣٠م

ـ ملاحظة: هذا الحدث دونته ساعات العاشر من مارس، على صفحات ماء الحياة والموت "بحر صور".

إهداء إلى روح الإنسان "أحمد سعيد"، والى أخي "جمعة" المتعطش إلى روح هذا الصديق.

بكائية بحر وسفينة



أجواء باكية تسكن ذلك المكان، ألحان عشق حزينة تعزفهما سفينة وبحر، أنا ولأول مرة أشهد ذلك الموقف، وتطرق أبواب أذني تلك الألحان، الألحان تفجر قنابل اللوعة والأسى بقلبي، سفينة وبحر ...عشق وفراق.. حياة وموت ... وعزف مستمر لأشجى الألحان، وباستمرار ذلك العزف الذي يغوص ببطء شديد، ببطء قاتل إلى أغوار قلبي؛ ليزيد من حزني ولوعتي، ليصل بي إلى حد الهلاك، ليذيقني ساعة الاحتضار .

تشتت فكري ... أصبحت أسيرة الحيرة ... وبدأت أمواج بحر تساؤلاتي وفضولي تزداد هيجاناً، وكلما زاد حزني، كانت تتضارب بعنف مع صخور أفكاري... لم هذا الشقاء؟ . . .ولم الحب الكبير ينتهي بفراق ؟ . . .وإلى متى سيظل البحر والسفينة يتجرعان سم الفراق؟ . . .إلى متى سوف تتكرر زيارات الموت لتذيقهما ساعات الاحتضار، وبعدها تختفي لتعود مرة أخرى في لحظة احتضار جديد ؟ . . .لتزيد بذلك جراحهما وحزنهما.

أين هي أيامهما الجميلة حيث اللقاء المتواصل، والإبحار الدائم في بحر الحب،.. السفينة يزداد عشقها له كلما تعمقت برحلتها معه، فهو سر من أسرار الكون، يجمع بين الجمال والروعة .. والحياة والموت .. والوفاء والغدر، والبحر يموت بها عشقاً .. عشق يترجمه تلاطم أمواجه على جوانب معشوقته السفينة؛ لينشر بذلك دفئا لا مثيل له، ورقة لا تضاهيها رقة؛ ليعبر عن حبه لها. ولكنّ هنالك أرواحاً غريبة تسكن عاصفة هائجة قادمة من عالم الحقد الذي يكره هذا العشق الكبير، والإخلاص الأبدي، ترمي بالسفينة إلى حيث اللاحياة، إلى شواطئ الحرمان، إلى نهاية قصة الحب بينها وبين البحر؛ لتعذب تلك الروح التي جمعت بينهما.

كيف لك أيتها العاصفة الحاقدة قتل هذه الروح البريئة؟
ولم لا يسود الخير هذا العالم؟
لم ؟..لم؟
أحسست بتساؤلاتي وكأنها تترجم صدى فكرهما وروحهما التي هي روح واحدة تسكن بهما.

الطبيعة يرتسم على قسمات وجهها حزن عميق؛ لتجسد بدورها لوحة في منتهى الألم، حيث زخات المطر الغزيرة تنسكب دموعاً تغرق وديان الأرض وشعابها التي لم تستطع تحمل ألم الاحتضار البطيء، لتصل سيولها الحزينة إلى البحر والسفينة لتكون ألماً على ألم ، وصرخات قهر تعبر عن ظلم قاتل، وعبرات مخنوقة.

..السفينة والبحر .. والألم يزداد حدة.. وتساؤلات تحتضر:
هل من أمل للقاء؟
هل سيكون للسعادة محل في قلبيهما؟
أم أنهما سيشهدان ساعة الاحتضار قريبا؟

أسلوب آخر لموت الحمام

توقفت هناك ..

عند شيء ما قد كسر ... حمامي الأبيض لن يطير، أجنحته لن ترفرف بعد اليوم.

تدور العبارات الحزينة بأجوائي الممتدة التي لم تلبث أن تنحسر إثر تكسر أجنحة حمامي..

نظراتي تفترش حيرة وتساؤلات كثيرة، وبصوت محموم تخرج الآه كألف آه:

آه .. يا حمامي لن تستطيع الطيران.

لن أتمتع برقصاتك في سماء قريتي.

سرت بين أقفاصه؛ لأبحث عن حمام ليس كسير الجناح، ولو بعضها أريد ولو واحدة ... ولكن الصدمة تقتل بذور الأمل بقلبي.

كل الحمام كسير الجناح .

نزلت من أعالي السطوح، وخطوط كنتور خارطة عقلي تتعمق في الارتفاع لتصل إلى أعلاها، تطلق أسئلة تتدحرج برأسي لتصل إلى شفتي:

لماذا كسرت أجنحة حمامي؟

لماذا ؟

أنت كسرت أجنحة حمامي بعد أن ربيته أربع سنوات احتضنته بحناني، وأطعمته نبض عواطفي، وأسقيته ماء مودتي، وعلمته الكثير ليرفرف على شجرة زيتونتك التي لم تنبت بعد

آه منك ... قتلته بإخفائك سراً ما هو بسر؟

قتلته بإخفائك غرسك الزيتوني الصغير.

ترتمي عباراتي بأجنحة قلبي

أنت لست أول من ينمو بك غرس بين ظلمات ثلاث.

خطواتي المترنحة تتباطأ في الحركة وكأنها تذرع الغرفة .

وحمام هناك ما زال كسير الجناح، خيوط الحيرة تموج في ذاكرتي باستفهام يبعث صداه، ويرتد الجواب :

لم حكمت على حمامي بالموت؟

لم صوبت أحجارك عليه ؟ذاك الذي ينتظر غرساً ينبت بتربتك بعد أن عانت الجدب، وبعد أن اعتقد الجميع بقلة خصوبتها، لماذا؟

أتدرين لم فعلت ذلك؟

لأنك لم تري العرس الذي أقمناه والحمام، عندما علمنا بأول غرس نبت بأرضك، بعد طول انتظار، أطلقنا الحمام ليقيم عرسه في أسراب تطير في الفضاء .. يرقص، ويتماوج، يعلو، وينخفض عندما يصل إلينا، ليعود بعدها فيعلو ويدور ويلف في فضاءات السماء، يرقص ونرقص، يا لها من فرحة .وكأننا لم نعرف الفرحة إلا بها.

يالها من فرحة وما أعذبها .

لم نعلم بأن تحقق الحلم المنتظر يعلن أعظم انتصار وأسمى حبور. كان يوم وكأنه الحياة العذبة كلها.

تسابيح يطلقها الحمام تتمازج مع تسابيحنا لخلق نبات زيتوني صغيراً.

حمامنا رجع حزيناً بعد شهر من العرس الذي أقمناه .

أتدرين لماذا؟

أتدرين لم رجع حزيناً؟

لأن العرس انتهى وتحول إلى مأتم بعد أن مات نبتك.

أتأتين الآن وتكسرين أجنحته بعد أن كان الأمل يعده بنبت جديد.

أتأتين الآن لتكسري أجنحته ... بعد أن نما به الأمل؟!

أتأتين لتقتلي حمامنا !

لم فعلت ذلك؟

لم أخفيت ذلك الذي ننتظره منذ أمد بعيد؟

لماذا؟

كان يحلم بظله، يرقصن معه، وفي عش واحد .

كان يحلم ... ويحلم ... ويحلم

وهنا أسقط في سريري كسيرة الجناح.

وتسقط تلك ... وتلك

والكل يثخن بجراح.

تمرد عشتار

اعتقد أخناتون بوجود معبود واحد.. واعتقد من سبقه بتعدد الآلهة.. ثم ترأس إحداها منصب الألوهية.. وهكذا في حضارات مصر الفرعونية القديمة.. وسومر وبابل وأكاد واشور.. فاعتقدوا بتعدد التتويج.. وكان هذا تمرد.

وهنا أجدني أنا من يسكنني التمرد وأفاجأ بأني أتزعم منصب آلهة الحب.. لأكون (عشتار) أخرى.. أتربع عرش هذا المنصب الذي يسكن صرحاً ممرداً من قوارير.. ذات لمعان فضي وذهبي، مزيج من اللمعان والإشراق يضفي عليّ هيبة الآلهة.. الصرح يسكن الماء المضيء بسفن النور التي هي فوانيس الليل هنا.. ينتصب الجمال الذي يسكنني كوهج النجوم.. تنبع من تحت أقدامي ملايين العيون من ماء الحياة.. تنساب، لتزرع وتحيي آلاف الواحات الخضراء، لتكون حدائق زيتون سلام.. وورود أمل.. وسنابل عطاء.. تزهر ألقاً ونوراً وتبعث روائح زهور.. وتسكبها عطوراً على أرض الحياة.. بين ذراعيَّ أجمع صكوك الحنان التي أستبدلها بصكوك الغفران.. وبين أصابعي تسكن ألف مدينة لدفء.. لكل مدينة ألف ألف حمامة بيضاء.. لكل ريشة من ريشها ألف دفء ودفء وأساطير لحنان وسلام.. يتطاير الدفء والحنان عقوداً من البياض.. وسلاسل الزغب أزرعها لمن جاءوا للصلاة.. وأحضروا قرابين من القصائد والكلمات.. قرابين من الدموع والآهات.. يحملون أعمارهم وسنينهم وأرواحهم صلوات..

هنا أحس بأن من حولي يعيش تمرداً.. يجتمعون.. يقفون.. يركعون.. يسجدون.. أمامي، وغروراً أقول لي.. وجدتني أتوج آلهة حب وأكثر.. قدست إله حب وأقمت لحبه معبداً بقلبي.. وبكل قطرة من دمي سجدة له.. ذوبت كلماته بحروفي قطع سكر.. فزادتني جمالاً ونضارة.. فجأة وجدت من يقدسني.. فيقول، هو ومن جاءوا قبله وبعده: " خلقت بابتسامة تحيي ألف أرض ظمأى.. وتستبدل دموع الحزن بشموع المزن.. ابتسامة

تملكها شفاه تسكنها براءة ألف طفل وطفل.. فملكني فرح الأطفال ونشوتهم.. ولم أقدس واحداً.. بل أقمت لكل واحد نافذة من النور الوردي تسكن قلبي.. لتعلن تمرداً يسكنه من ظن أنه المتوج بحب عشتار.. فأبت عشتار إلا أن يكون لها ألف ألف حب.. يعلن البراءة والطفولة.. ولا يعرف سوى الحب.. ولتظل عشتار تروي جداول الحب في هذا العالم.. لتعلن تمردها.

٢٠٠٣/١/٢٨م



التضفير

كعادتها عندما تنتهي من أعمالها المنزلية تقف أمام مرآتها الفضية، لتقوم ببرنامجها المعتاد كل صباح.

تبدأ في فصل تسريح شعرها. تمسك بضفيرتها التي عقدتها آخر مساء، وبكل خفة تفك ربطة الضفيرة، تنظر لنفسها في المرآة تبتسم زهواً بجمالها، ابتسامة تثلج صدرها، تغرس أصابعها الناعمة في وسط العقدة الأخيرة لتفكها وتفك معها ضفيرة من وقع في هواها، وتفك العقدة الثانية والثالثة .. وهكذا إلى أن تنتهي.

تمسك بيدها اليمنى المشط، وتسرح به الجانب الأيمن من شعرها، وهنا تمر على أول من صرح بحبه لها، وردت عليه بأنها تهوى غيره وبعباراتها المعتادة في توديع من لا تهوى "القلب وما يهوى" وهي لم تهو بعد. تمسك بجانب شعرها الأيمن المنسدل على ظهرها، وبحركة رقيقة تضعه أمام صدرها؛ لتقوم بتسريحه... ترجعه إلى الخلف وترجع ذلك الذي شاء قربها ولم تشأ.

وتنتقل إلى الجانب الأيسر، وتسرحه، وهنا تذكر الذي وقعت في شباكه دون أن تدري، ذلك الذي ترى بحروفه كل ألوان السعادة، وبكلماته وصوته ضرباً من الخيال، وترى به عبقاً من ماض منسي. وهنا تسرحه ببطء وتمر على أجمل ذكرياتها معه وتطيل التسريح؛ لأنها تحب الوقوف على حبه.

تمسك بخصل شعرها الطويل، تعيد إرجاعه إلى الخلف وترجع ذكريات جميلة، آملة في إرجاعها. تمسك بالجانبين لتحاول أن تضمهما وتضعهما بجانبها الأيمن وتقوم بتسريحه مرة أخرى، وتذكر هنا صاحب الشعر وقائله الذي كتب، وسطر، وقال بها القصيد، وتجاهلته، والآخر الذي ظن بأنها تهواه فتعاملت معه بفن من فنون دبلوماسية "كيسنجر" فهي لم تظهر له الرفض، ولكن غلفته بغلالة من القبول.

هنا تسدل شعرها على ظهرها، لتجمعه وتقوم بتضفيره، تمسك به بكلتا يديها، تقسمه إلى ثلاثة أقسام متساوية، وتمسك بخصلته اليمنى، وتمررها أسفل الوسطى، وتمسك بالوسطى، لتضعها مكان اليمنى، وتضع اليسرى مكان الوسطى، لتنهي العقدة الأولى، وتعقد بذلك العقدة الأولى في ضفيرة المغرمين بها. تكرر نفس العملية في العقدة الثانية وتعقد أهم عقدة بضفيرة الحب، وتعقد الثالثة، والرابعة، عاقدة بذلك عقدتين من غرام أصحاب القصائد الممزوجة بحبها، وتصل إلى الخامسة والتي تذكرت بها آخر فتى أغرم بها، وأراد التصريح لها بما في قلبه وفهمته من ارتباكه، والدموع التي سكنت عينيه، ووجهه الذي تغير لونه حينما أراد أن يصرح لها بذلك، وقد رأت هذا الضعف في من سبقه، فقد رأت ضعفاً لا يقاوم ، وصمتاً يبوح، وموتاً يبتسم، وكل أساطير الهوى وخرافات البشر.

وما زالت تعقد ضفيرتها إلى أن وصلت إلى الخصلة الأخيرة من شعرها، لتختم عندها التضفير وتعقد ضفيرتها بشريط وردي، وتعقد بذاكرتها ضفيرة الهوى، متسائلة:

هل ستكبر هذه الضفيرة مع ضفيرة شعري؟!

أم أنها سوف تقف عند هذا الحد؟

هل ستقف عند العقدة التي أهوى؟

هنا تتسلل بخطى وئيدة مبتعدة عن مرآتها، تاركة خلفها ذكرياتها... مانحة نفسها وللزمن أن يقررا مصير التضفير.

٢٠٠١/٧/٢٨م

(عندما يجمح الجنون)

على صوت أذان الفجر صحوت منتشية بفرحة اللحظة، خاصة بعد سلسلة من الفشل المتواصل... (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) دعاء اعتدت ترديده، وها أنا أحاول أن أكمل الحمد بهذه الشهادة التي تحملني إلى أقصى مدن الانتشاء، أكرر ثلاثاً: (اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك، وملائكتك وجميع خلقك بأني أشهد أنه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك).

أصلي الفجر ركعتين قبلها ركعتين سنة، أنتهي، يتبادر إلى ذهني (إن قرآن الفجر كان مشهوداً)، يحركني هذا القول العظيم إلى المصحف، وأكتفي بتلاوة سورة الملك؛ فستهبني الجنة إن كنت من عداد موتى هذا اليوم؛ وستمحوني من قائمة المعذبين في القبور. على عجل أضع المصحف في "المرفع"، أرفع يديَ لأنفث فيهما الفاتحة، ثم الإخلاص والفلق والناس كل منها ثلاثاً، هنا انتهيت؛ ليبدأ طقس جديد أردت أن أرصده بنفسي، وأخترع تفاصيله بأم عيني، أفصل أجزاءه بأناملي. أبدأ في ارتداء ثوب جديد يليق بعظمة هذا الفجر... أمشط شعري، وأتركه طليقاً دون قيد، هكذا كصهوات جنوني الجامحة في هذه اللحظة، فأنا أدرك بأن هذا اللقاء يختلف عن أي لقاء عشق آخر؛ ذلك أن المعشوق أعظم من أي عاشق، وأنا سأنفرد بأن أكون أول امرأة أرادت أن تذوب به فجراً... أن تتنفسه شوقاً وحنيناً. أسير بخطى متئدة كيلا أيقظ أحداً.. أتسلل إلى الباب، وقبل أن أفتحه يتبادر إلى ذهني أني سأفقد أجر إيقاظهم لصلاة الفجر، ولكني أدرك بأني أريد في مقابله أن أكسب شيئاً أعظم، فأن تخسر شيئاً عظيماً، لا بد أن يكون في مقابله أن تكسب شيئاً أعظم . أفتح الباب أنطلق إلى البحر الذي يبعد عن بيتنا عشرين متراً تقريباً ... وأنطلق من قوانين مجتمعي إلى أبعد من ذلك بكثير، أدرك بأن من يراني الآن سيخترع لي حكاية غرام، وقد تصل الحكاية إلى حد الخطيئة، ولا بد أنهم سيرددون مثلهم " يا ما تحت السواهي دواهي" .. ولكنني

أحاول الآن التخفي عن أعينهم؛ لأسرع إلى ذلك الذي أردت لقاءه في هذا الوقت؛ لأني أريد أن أدَوِّنَ تاريخاً لحب فوق الخيال إلى اللامعقول، أصل إلى البحر وأعلنها أمامه: "إني لا أتنفس إلا بحراً.. لا أتنفس إلا بحراً" ؛ لذلك أحببته، وكان لي بحر آخر في وفائه وفي غدره، في كلماته التي كانت تقطر شهدا، وصارت تقطر سماً ، في قوله أني أجمل النساء ثم محاولته التملص منه.. في ضعفه إلى حد البكاء، وفي قوته التي تصل إلى حد الشقاء ...

لماذا أتيت الآن في هذه اللحظة التي أردت أن ينطلق فيها جماح جنوني الذي يطهرني من الحزن الذي يسكنني؟.. لماذا ؟... ألأنك تشبه البحر فعلاً ... ولذلك أحببتك؟!..لهذا أصبحت الهواء الذي أتنفس .. الماء الذي أشرب... وكل شيء يحييني، فبدونك لن يكون إلا الموت هو نهايتي،.. هو قول أدركه.. صدقه وكل ما يحمله، أعلم أن هذا الموت قريب قريب، فلماذا حكمت علي بالموت؟، لماذا اخترتني له وبدأت تنسج أكفاني بيديك؟، أهو ظلم منك أم من القدر الذي أراد أن يمهلني دون أن يهملني أنا التي احترفت وصيته؟ وها هو يعاقبني بأن يجعلني بين مطرقة غضب أهلي وسندان فقدك.. الذي يعني فقدي، لماذا أنا التي أراد لي القدر أن أكون في زنزانة المخالفين للعادة والتقليد... فهم يقولون بها، ولا يعنيهم غيرها... لا أنا ولا أنت. هنا أدرك بأنك أو أنه أصبح الشيء الذي يقتلني في كل لحظة وحين .. بأنك والقدر وضعتموني في خانة المتمردين، وللتمرد لعنته التي دائماً ما تصب أقساها بالأنثى فهي الأضعف؛ لذلك فأنا لا محالة سأكسر، وستكون أنت من بدأ وأهلي من ختم .

آه.. أما للحياة من رحمة؟! أما لها من استثناء؟! في كل لحظة تأتيني والألم، والألم كما يقول ناصر" هو الذي يظهر صفاء معدننا يطهرنا ينقينا " . ولكنه يصهرني إلى حد الموت .. وليس إلى حد الإغراء كالذهب، فاتركني أرجوك في هذه اللحظة، لحظة جنوني التي تطهرني من حزني .. اتركني وجنوني...

أنزل في البحر لأقهر حزني .. ولأعود إلى سكر جنوني .. أرمي بملاءتي في البحر؛ لأترك شعري طليقاً وجسمي وروحي ... وضحكي ودموعي. أغوص في البحر، أضحك ألعب به، فما أجمل أن أنفرد بالبحر وقت الفجر، وأنفرد بضوء نجومه!... لأسافر في خيوط ضوئها إلى موانئ النور لأسكبه بجسدي... وأنير به دربك.. وكل الدروب؛ لأجمع زهور الكون أهديها لك.. لأذهب خلف الشمس؛ لأكسُبك وهجها... ولأطهرك بماء الكوكب الأحمر؛ ولأصبح أميرة نحل أسقيك أحلى عسل في الكون بل أحلى عسل في الجنات.. .آه.. الجنون.. ما أحلاه.. ما أحلاه يا سارة، أتذكر هنا الجنون الذي كان يوم الأربعاء، عندما قلت : هيا لنخبر صديقاتنا بأننا سوف نصوم هذا الخميس، وسنفطر في الوادي الذي بقريتنا، وما أكملت حتى صرخت صالحة وسالمة : ماذا تقولين يا سارة...

أجننتِ ؟!

وماذا سيقول الناس يا سارة؟!!

أنا ما أردت إلا أن يكسبن أجرا... ونغير من روتين هذه الحياة المملة.

"أضحك"، سالمة : لماذا تضحكين يا سارة ؟!!طبعاً على نفسك..

نعم يا سالمة ، فأنا أجمع كل التناقضات.

- تقية لله، وتهوى الرقص والغناء.

- قوية إلى حد الجزم، وضعيفة إلى حد الانهيار، فالإغماء، فالبكاء.

- خجولة إلى حد الخوف، جريئة إلى حد التمرد على كل شيء.

- بريئة إلى حد الطفولة، وشائبة إلى حد الجنون.

أتذكرين سليمة عندما قلت لكن : هيا لنصلي الصلاة في وقتها، فقلت: غريبة أنت يا سارة كل التناقضات تجمعين، أولاً

تذكرين لنا أدعية وأذكار؛ لنحفظها، ثم أخذتِ تغنين، ثم صمتِّ، ثم دعوتنا إلى الصلاة.. ما هذا التناقض يا سارة؟!!

وحينها رددت الأخريات: فعلا يا سارة صدقت سليمة فيما قالت، كلك تناقضات .

هنا أضحك على نفسي ... فمن أي طينة أنا ؟!! ومن أي البشر؟!!

أعاود إكمال هذا الطقس .. بدأ الضوء يهجم على الفجر، فأدرك بأن من ذهبوا إلى الصلاة في المسجد سيرونني؛ فلا بد أن أهرب بسرعة... أسرع بالخروج من البحر.. أسير هاربة .. أدخل بيتنا... أستحم ... بعدها بدأت أيقظهم...

صالحة، هيا قومي للصلاة. أيقظها الماء المتساقط من شعري قبل كلماتي.

ما هذا يا سارة؟ أي جنون يسكنك؟ تستحمين الساعة الواحدة بعد منتصف الليل... والآن الساعة الخامسة فجراً... ما هذا؟!

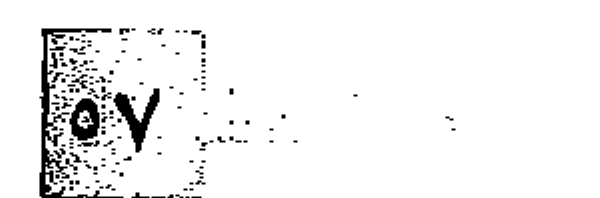
أجيبها: لأن جنوني هو الذي يسكرني بحلاوة الحياة.

تهز رأسها قائلة: سارة إن هدوءك وصمتك، والحزن الذي يسكن عينيك هو الذي يشفع لك.. فاعقلي.

هنا أدير وجهي؛ لأخفي ابتسامة رقيقة، وأقول في نفسي: لو تدري بما فعلت في هذا الفجر؛ لأجزمت بجنوني.

٢٠٠٢/٨/٤م

" أساطير عشق "



هذه المرة حرضتني أحلام[1] على مؤامرة الكتابة، ودعتني إلى الاشتراك معها في مملكة لا تستطيع التخلص منها إلا إذا أفرغتك على الورق؛ لذا بعد انتهائي من قراءة روايتها "عابر سرير"[2] بدأت في سكب شيء من وهج الكتابة، وقررت أن تكون يا "ناصر" أحد أبطالها، قد تتساءل عن سبب اختياري لك دون غيرك، قد أملك جوابا، وقد يكون تبعثر في كومات الحوارات التي كانت نقطة تحول في حياتي، قد يكون؛ لأنك أول إنسان بث في قلبي الضوء الحقيقي لمعنى الإنسانية ؟!. هذا لا يعني أن الآخرين (من سبقك)ينتفي لديهم هذا المعنى، لكنك النور وهم تبعثرات من نور في عالم نبحث فيه عن نور.

في هذه السطور قد أزج بك في هذه الظلمات لأن منها تلفظ إلى النور أولى هذه الحكايات وأجملها، وأجزم بأنها الأجمل؛ لأنها تتحول من حكاية تتداولها الألسن والكتب إلى أسطورة عشق لمدينة تحتضن البحر فيتحول الدفء فيها إلى استيطان. فالبحر يستوطنها وهي كذلك تستوطنه، تتمازج فيها الألوان .. بياض منازلها وسمرة سفنها ونواخذتها، وزرقة البحر.

أتدري يا "ناصر" أني أدين لك ولقوافي قصائد شعرائها بإيقاظ حب عنيف يغفو في شراييني لمدينة التاريخ والإشراق والمجد، ل"صور"، فلقائي بك وبهم في أحداث أدبية عدة، وتشربي لثورة العشق للبحر ..للشطآن ..للسفن؛ جعلني أنتشي طربا وشوقا لحكايات البحر وأهازيجه .. لليامال .. للفرمال. كانت قصائدهم أعاصير من العشق الذي تنفست فيه الموج والأصداف والرمل، وكل مرة أصطدم معهم بعاشق صور ومنشدها تراتيل من البوح، ب"ناصر البلال" الذي ما اعتاد يوما أن يصلي الحب في صور قضاء، كان وما زال يعشقها حد الموت، يتوجها بتيجان من العشق والشوق لصور، ولشد ما أدهشتني حورية ديوانه المسمى "حورية البحر". للحرف فيها وقع أسطول من السفن، وللوصف

فيها آمال من السمر، حورية البحر تاريخ من السحر، تأسرني فألهج بها :

صباح الخير يا حورية البحر

صباح الحمد والشكر

بأني قد ولدت هنا

مع الشطآن والسفن

يسافر عبر أشرعتي

ضياء الزهو في وطني

مدى الزمن

يؤرخ للعلا عهدا

يمهد للملا مجدا

ويثمر عزمه سعدا

إليك ومنك يا حورية عاشت

فنارا يرشد الفجر

منارا يلهب الشعر

وسيفا يرتدي النصر

وتسبيحا إلهيا لكون

يرتجي الإشراق

من فجر إلى فجر

صباح الحمد والشكر

كنت أشعر مع حروفه أن القصيد يترجم من عشق إلى عشق، يتحول إلى شموخ من العز، قبله وبعده،كان أخي "سلطان" يرويني من حكايات عاشق صور، أجزمت بأنه من يعلمنا أو يعيد صهيل أساطير من الحب لمدينة يتدفق موجها في شرايين أجسادنا، وتضمخنا شمسها وملح بحرها بسمرة الصبر، وهنا أوجعني الألم الذي بثته قوافي "ناصر البلال" في قوله :

وعفوا "صور"! إنا قد حنينا

الهامة الطولى

على إغفاءة ثكلى

وعفوا "صور"..إنا قد نسينا

البحر

و"الفرمال"والصبرا

وعفوا "صور"إنا نعشق

"الأصنام"

و"الأزلام"..والشعرى"!!(١)

فعفوا.. لمدينة لم نجعل تاريخها يتلى، أخذنا نقتات مجدا لأجداد تعرفهم ذاكرة الإبحار والإشراق، هنا أذكرك يا "ناصر" بحدث صدور كتاب يحمل عنوان " مدينة صور العمانية الحاضر والماضي والثقافة "..أتذكر يا "ناصر"ماذا حدث لثورة الأشواق في مجرى دمهم ؟!!!،وصفوه بأنه حرق لهذا العشق والشوق، ونسوا بأنهم هم من نسى تاريخاً سجله الموج على شطآن مصر والصين لسفن صورية جابت البحار في دجى الليل واشراقة الفجر؛ لذا

كانت ضربة موجعة، ولكنها كانت خطوة أراد بها القدر لفت هذه العقول لمجد كاد أن ينتهي فلا بد من أن يرتله التاريخ في سطور الكتب لا بد من أن نسجل هذا العشق نظما شعرا ونثرا. ما أدهشني في شخص "ناصر البلال "أنه فعلاً عاكف في محراب حبها لسنوات، يرتل حبه صلوات في سطور تنتظر النور، لدرجة أن تنسكه هذا لا يخرج منه إلا ليبث دخان سيجارة يتنفس فيها عبق هذه المدينة.

لكم تمنيت يا "ناصر " أن ألتقيه، ليس لشيء، لكن لأني أحتاج إليه؛ ليملأني حبا وعشقا لمدينة التاريخ .

في يوم من الأيام التقيت برجل هو أيضا أعتبره موسوعة لتاريخ صور، التقيت "ربيع عنبر العريمي"في مدرسة المروة الثانوية للبنات في أيام التربية العملية أثناء الدراسة الجامعية، ولكم تمنيت ذلك !!!، فأخذت أسأله عن عشقه لصور، وكيف أصبح موسوعة لتاريخ ولثقافات عدة؟؟!، فلم يتعد جوابه، قوله إن عليك الاهتمام بالقراءة .. القراءة، وانتقي مصادرها، ودعي توافه هذا العصر من أغان ومسلسلات، وأهداني كتاباً عن عمان يحمل عنوان "مسيرة الخير" . وكان ثمة أمر أو تساؤل حول ما يجمع بين "ناصر البلال " و"ربيع عنبر" وكيف أن لهم عقولاً لا تدري ما كنهها، وأكد لي ذلك، عندما أرشدت أستاذي الذي أراد أن تكون له بصمة في تاريخ هذه المدينة بتأليفه كتاباً عنها للاستعانة بهما، فقال: رفضا ذلك بشكل قاطع، ولا زال السؤال يحيرني، لماذا كان هذا تصرفهما ؟!!!،ولأي حكمة يسطران ذلك ؟!!،ولا زال السؤال لدي، والإجابة كفيل بالزمن إيجادها .

أتذكر يا "ناصر " حكايات صور والبحر ؟ و ما رويته عن والدك الذي كان أحد أهم نواخذة صور الذين وصلت درجة عبقريتهم في الملاحة معرفة البر الذي سيكون مرفأهم أهو بر الهند أم بر آخر من رائحة الهواء، ودقة توقيتهم للوصول إلى

الأمكنة معتمدين على تسخيرهم للنجوم والأفلاك والأنواء؛ لتكون تحت تصرفهم، وهناك آلاف من عباقرة البحر في هذه المدينة الذين واراهم تراب موانئ مختلفة أو أعماق محيطات بعيدة .

لذا يجب أن ندرك يا ناصر أن لهذا المجد شموخاً لا بد من أن يخط بحروف من عشق.

(١)،(٢) الروائية أحلام مستغانمي، و"سرير عابر" احدي رواياتها.

"رعب لحظة سابق لأوانه"

إنني أشرع الآن في تدوين تاريخ لحظة تعج باضطراباتها.. مليئة بكوارثها.. لحظة تحمل رائحة الموت، وهي قادمة لا محالة، خاصة بعد أن أصررت على تغيير رأيي.. أحاول كتابتها علّي أخفف من وقوعها.. هنا أحس بيد تنغرس في كتفي وتهوي بي إلى مكان سحيق، وكأن الطير يتخطفني..يا لهول مصابي، اللحظة سبقت أوانها.. واليد تدير جسدي وبكل قوة، تقع عيني بعينه، هنا أحس بالموت يدنو مني، أستغرب من صدق حدسي أنه هو، وكما توقعت أخي البكر سلطان.. ويا ليتني قبل هذا كنت نسياً منسياً.

- يسقط قلمي.. يطيح بأوراقي.. ينزعني من الكرسي.. يشدني إليه.

- ما الذي فعلته؟؟! تخرج الكلمات من بين أسنانه وكأنه يقضمها.. والقصد قضمي.

- يصرخ.. يكاد يستشيط غضباً: أوتسألين؟؟! يزداد ضغطه على ساعدي "كيف لك أن تصري على قرارك بالزواج منه ولا غير؟!

- أحاول أن أستجمع قواي، أحاول أن أخلق لي قوة في مجابهته، "وما المانع من ذلك؟!"

- يطرحني أرضاً أوتقبلين بـ "سمطي" ؟؟!!

- ولماذا لا أقبل به؟!

- يمسك بيدي، ينزعني من الأرض، "أتدرين هول ما تقولين؟!"، إنه سمطي؟!

- وما يعيبه؟ إني أريده هو ولا غير.

- لم أحس إلا بيده ترتطم بخدي وبكل قوته، لدرجة أنني أحسست بدوي داخل أذني.

- أيتها الحمقاء إنك تريدين تحطيم شيء يقال له عادات وتقاليد.. بموافقتك عليه سيقولون إنك عشقته.

- يقولون ما يشاءون، ليس لهم بي شيء.

- وعائلتك؟..نحن؟..والقبيلة؟.. والشرف؟

- وهل أذنبت بموافقتي عليه؟!

- نعم أذنبت.. ولكن أنا المخطئ حين سألتك عن ذنبك..

- وهل يسأل عن ذنوبهم المجرمون، ما دمت تعتبرني أجرمت بحق كل هذا فلم جئت تسألني؟!

- أنا ما جئت أسأل أنا جئت لأعاقبك على هذا الذنب. فإما أن تتوبي عنه وإلا فإنك سترين عقبى ما فعلت.

- وما الذي أنت فاعله؟!!

- سترين..معك مهلة أسبوع، إما أن تغيري رأيك، أو ..

- أو ماذا؟؟!

- جوابي وقراري النهائي أني أوافق على بدر السمطي، ولا غير، ولو أنك ضربتني، ولو أنك قتلتني.. ولن استسلم.

- يصمت.. ذلك الصمت الذي تأتي بعده المآسي والكوارث الكبرى. يغرس خنجره بصدري؛ لينفجر دمي.. يقول ها أنا أغسل عرضنا بهذا الدم..

- هنا يصيبني الرعب، أحس برعشة تسكن جسدي، وينفجر حبر قلمي، ليعلن نهاية هذه اللحظة.

٢٠٠٢/٧/٦م

مصرع الأمل

قصة رمزية،كتبت حول حرب الخليج الثانية.

بدأ الأمل يزين صفحة وجهه، وبسمات الفرح تتطاير بقلبها لترتسم على شفاهها التي تماثل الغروب لوناً وجمالا عندما رأت بابنها الصغير لمحات من صلاح الدين وسيمائه. بذور أملها بدأت تنمو بنمو طفلها، تلك البذور التي أعطتها الحياة بأولى عبارات الانتقام " لابد أن أغرس في قلبه كره من انتهك عرضي ومزق ثوب شرفي ..لابد " حضرت تلك العبارات برأسه وقعها رنين أجراس ما فتئت ترن بكل لحظة من لحظات عمره .. وشفرات هذا الرنين عباراتها المترددة :بني إن شرفي قد أضاعه ذاك الرجل ولا بد أن تستعيده، بني لن أتجرد من ثوبي القاتم السواد إلا يوم قتله .. يوم تزهق روح هذا الغادر، يومها سأرتدي ثوب فرحي الناصع البياض .. يومها يا بني .. فلتكن أنت من يعيد رتق ثوب عذريتي بخيوط انتقامك منه .. فلتكن أنت.. أنت يا بني .

أصبحت عباراتها رموزاً منقوشة بصخور عقله الصغير .. بدأت تكبر معه وتترسخ بعقله .. هي هدف يسعى لتحقيقه ولكن لن يكون ذلك إلا بسلاح عدوه .. و(التفوق)قضاء لا بد أن يخطه ليشعر بالحياة . إعداده لهذه المواجهة هو شغله الشاغل الآن، ودراسته لسلاح عدوه تتطلب الدقة والحذر .. قراءته لحيل الخائن أصبحت كلغز تكرر نجاحه في حله .. ذلك الرجل الذي يخفي ملامح الغدر بأطهر الأقنعة ليواري حقده المتعسجد بقلبه.

كبر الابن والانتقام .. وجبال آمالها تعالت .. ودندنات أغنياتها تحولت إلى دندنات الفرح بعد أن كانت نوحاً وبكاء .. تصريحاته كانت جريئة، مقولته المترددة : "أنا من سيحطمه أنا من سينتصر عليه . " طرقعة هذه التصريحات تصل إلى أذن الخائن لتنغرس بها، وتخدش ملفات طموحاته الماكرة .. وصداها يتضخم بمدن عقله ليشل خططه المدمرة .. ويزيد من قلقه، وأدرك حتمية القضاء على هذا الابن الذي بات يقض مضجعه بعباراته البطولية، فهو لم يتعود على شجاعة كهذه، قرون ولم يجرؤ أحد على التصدي له ولو بكلمة، سلاحه كان الحيلة و"الحرب خدعة " وبدأ بتخطيط

أولى الخطوات مع عجوزه الحقود فهي من سينفذها.. هي تلك الماكرة، وتنفيذها كان دقيقاً وسريعاً في نفس الوقت، فقد حضرت إلى بيت ذلك المقدام تتصنع الطيبة والرقة وتستر حقدها العميق خلف ابتسامة مزيفة. أخذت تداعب قلبه بعباراتها اللطيفة وكأنها تداعب شعر طفل صغير تموجه كما تريد، ذلك الشعر الأصيل السواد .. ضمت يده بين يديها في أمومة ملوثة بالمكر، وأخذت تربت عليها بيدها وتقول :ليتك كنت ابني .. فشجاعتك نادرة بهذا العصر .. أنت بطل بخططك وأفكارك .. (ولكن)..

جذبت كل انتباهه بهذه الكلمة

ــــ ولكن، ماذا ؟

- العجوز : لا داعي إلى ذلك .. آه لقد زل لساني .

- هو : قولي الحقيقة ، ولكن ماذا ؟ .. انطقي .

- الحقيقة لو كنت تملك ثروة لكنت سيد العالم.

يرد عليها : الثروة سوف تأتي وقتما أريد .. فعقلي هو ثروتي العظيمة .

العجوز : نعم .. نعم عقلك لم أرى مثل ذكائه المتوقد ولكن لا بد لهذا العقل من التفكير بطريقة تجعل منك رجل العالم، وسوف تجد أكثر من طريقة، أنا واثقة من ذلك .ودعته ولكن عباراتها لم تودعه، أصبح صوت نواقيسها يعلو ويعلو وعبارات أمه تخفت ..تخفت أفكاره، استحالت إلى أفكار شيطانية، فهو يقول الآن في قرارة نفسه: لا بد أن أفكر بطريقة أصبح فيها غنياً ثم أمتلك العالم، بعدها أستعيد شرف أمي بسهولة من ذلك الغادر.

زيارات العجوز التي تماثل غراب البين حقداً وشؤماً تتكرر، وترددها على منزله أصبح عادة من عاداتها. وفي إحدى زياراتها

ووسط الحوار الدائر بينهما يطرح سؤاله :

أي طريقة ترينها أفضل لجعلي مالك الثروات والمسيطر ؟

هي :بني لا تبحث عن حل يتعبك فأنت ستحصل عليها بأسرع وقت وأيسر أمر.

هو: كيف ؟.. كيف لي بذلك؟

هي :أنسيت أختك وشقيقتك من أمك .. أنسيت " ميساء " وثروتها الطائلة .

هو: أختي " ميساء " .. المال مالها ، وما ورثته عن والدها فهو من حقها .

هي: لا أنكر بأنه حقها ولكن فلتساعدك بما عندها من المال وبعدها سوف ترجعه لها عندما تصبح السيد المتسيد .

هو: ولكن كيف سأطلب منها هذا الأمر ؟ كيف ؟ إنه أمر صعب .

هي: لا إنه ليس بالصعب عليك ،أين عقلك الفذ ؟ أين أفكارك المبهرة ؟

فكر بالأمر وسترى مدى سهولته ويسره .. فكر به يا بني .

أفكارها وعباراتها وكأنها فيروسات مخربة دخلت عقله وقلبت أفكاره وأحالته إلى إنسان مختلف عن ذي قبل، إنسان مدمر . أوصلت إليه فكرة واحدة وهي فكرتها، وفعلاً بدأ في اليوم التالي بتنفيذها، تلقته أخته بالترحيب وببشاشتها المعتادة وبعد احتساء الرشفات الأولى من الشاي المقدم له أخذ يتدرج في كلامه ليصل إلى مغزاه من زيارتها .

- ميساء إني بحاجة إلى مال

ميساء:

- أطلب ما شئت يا أخي .

هو :

- هذا عهدي بك يا أختي الحبيبة .

- " ميساء " أنا لن أطلب منك الكثير، ما أطلبه فقط هو هذه الجوهرة التي تزين عنقك الجميل .

- ميساء: تتلمس الجوهرة بأصابعها الناعمة وتقول:

- هذه الجوهرة !

ولكنها هدية من والدي .. وقد أوصاني ألا أفرط بها وهي أغلى عندي من كل شيء أملكه فهي تذكرني به . لا لا يمكن أن أفرط بها لا يمكن ..

هو :

- ولكن لديك الكثير من الجواهر غيرها فلا ضير بأن تعطيني إياها .

ميساء :

نعم يا أخي .. أنا لا أستطيع إعطاءك هذه الجوهرة .. لا أستطيع .

في تلك اللحظة انسحبت من وجهه كل معاني الأخوة والشهامة اخذ يفكر بطريقة يصل بها إلى تلك الجوهرة .. وسرعان ما تذكر العجوز التي أشارت إليه بهذه الفكرة .. وفعلاً كما توقعت فهو سيلجأ لها في كل خطواته القادمة. طلب منها أن تدله على طريقة غيرها .. أشارت له بأدهى من فكرتها السابقة.. فكرة

جهنمية فظيعة .. تردد في قبولها، ولكن أي عقل بقي به بعد أن هاجمته فيروسات أفكارها القاتلة ؟! .. أي عقل ؟!.. وأي رحمة بقلبه بعد أن سقته من قنينة الغدر؟

ومع انتصاف الليل وبعد إقناعه بفكرتها بدأ يزحف بخطوات تشابه خطوات ذلك الذي غدر بأمه، ذهب وخطواته ترسم الغدر .. تأكد بأن كل من في القصر قد غلبهم النوم المتسيد على الإنسان، أكد له ذلك تلاشي الأنوار، وموت أضواء النوافذ التي تحولت إلى جدار من الظلام الدامس .

ميساء في تلك الليلة خاصمها النوم رغم الإعياء الذي بجسدها المنهك، فقد أمضت هذا اليوم في رحلة مع أمها وأخوتها .. أخذت تصارع الأرق وتحاول أن تهزمه، تدفن رأسها بوسادتها الحريرية المحشوة بريش النعام وبعدها ترفعها وتكرر حركتها بصورة رتيبة حتى ملت من ذلك.. غيرت حركتها الآن وفضلت الاستكانة واضعة رأسها بوسادتها راجية الانتصار على هذا السهاد، وفعلاً بدأت جيوش النعاس تداهم عينيها وفي نفس اللحظة التي وصلت فيها طليعة الجيوش المنتصرة بدأت تتوافد إلى مسمعها وقع خطى ما لبثت أن طردت خيول النعاس وجعلتها تفر بعد أن كرت .. بدأت تحاول أن تتبين ذلك، تصغي بسكون عل ذلك يكون وهماً أو خيالاً، ووقع الخطوات يقترب من غرفتها . بدأت جوارحها ترتعش خوفا وفزعا، وعلامات الاستفهام تتراقص برأسها :

ماذا يكون ذلك ؟

وقع خطى من ؟

أيكون أحد الخدم ؟!

لا .. الكل في هذا الوقت في سبات عميق .. أيكون شبحا ؟!

لا.. الأشباح لا تسكن قصري .

خفقات قلبها تزايدت عندما دار مفتاح في ثقب باب غرفتها .. ماذا أفعل ومن الذي يدخل غرفتي ؟.. تسمرت بسريرها.. وها هو يدلف إلى غرفتها بخطواته الخائنة والتي بدأت تتسم بالحزم والسرعة، يصل إلى دولابها الذي تزينه مرايا جميلة يحتضنها إطار ذهبي لامع تشكل على هيئة ورود وأغصان. يفتح الباب الأول للدولاب ويبحث بين فساتينها الحريرية عن الجوهرة ويراعي عدم تركه أي دليل على فتح الدولاب، يبحث بدقة .. ولكن محاولاته فشلت، وبسرعة ينتقل للباب الثاني ويبحث بين أجزائه عنها، وتفشل المحاولة الثانية ،ويبدأ بالانتقال للثالث، ويبحث بسرعة ودعوات رجائه للحصول على الجوهرة تلتهب بقلبه، وتفشل أيضا الثالثة وهنا تناقص أمله بالحصول عليها .. آه قد لا أجدها .. ينتقل إلى آخر باب بالدولاب ولم يبق غيره، فتحه ويرتجي الوصول إلى هدفه، رأى درجاً يسكن برحم ذلك الدولاب " آه .. عسى أن تكون هنا" يدير رأس المفتاح في فم ذلك الدرج يفتحه.. انتشي الفرح بقلبه عندما رأى صندوقاً خشبياً مرصعاً بالذهب بداخل الدرج، أخرجه من جوفه وفتحه .. آه قد وجدتها .. آه قد وصلت إلى هدفي، الفرحة غمرته وجعلته ينسى نفسه ودون شعور منه ينزع القناع الذي ستر به وجهه ونزع بقلبها حبه .. آه أخي يسرقني !!.

زرع الجوهرة بجيبه. حاولت ميساء أن تفعل أي شيء .. تصرخ ..تهرب.. أي شيء المهم أن تفعل .. وها هي تنزع جسدها من سريرها لتصل إلى الباب.. انتبه لها .. واستحال جمرة ملتهبة خجلاً، ولكن أي خجل يملكه بعد أن تجرأ على هذه الفعلة الشنيعة .. ورأى أنه لا بد من أن يتخلص منها .. لا بد أن يخرسها إلى الأبد، تسطرت بعينه تحفة من العاج على هيئة طائر صغير أمسكها بيده وهم بضرب أخته على رأسها، وضربها وسقطت مغمى عليها، هرب وبسرعة من النافذة .. ولكن أي هرب

يكون هذا والفضيحة أصبحت ملتصقة به ؟!! أي هرب ؟ وممن يكون هذا الهرب وإلى أين ؟!! أخته قد عرفته، رأته وهو يرتكب جريمة، وأي أخ هو من توعد بالانتقام من خائن أمهم ؟!.. آه ..آه ..

وفي الصباح الباكر فوجئت الخادمة بسيدتها فاقدة الوعي أمام باب غرفتها . هرولت بخطواتها المرتعشة، وزعقت إلى أمها وإخوتها، وهاهم يهرعون إلى غرفتها بقلوب خافقة ورعشة قاتلة .. يساعدونها على استعادة وعيها .. ويفاجأون .. بالفاعل .. بل الخائن .. الغادر الذي هدر بذلك عرض عذريات، وقتل آلاف الأبرياء وأسر أطفالاً وشيوخاً .. وشرد ونهب وسلب وآه من أخوته لم تكف الآهات القاتلة التي زرعها أخوهم .. يستنجدون بالغادر بأمهم .. من مزق ثوب شرفها .. ذاك هو الذي وعد بأن ينتزع رتق ثوبها من الغادر .. يغدر بأخته .. يسرقها واخوته يطلبون مساعدة الخائن وهو على أتم الاستعداد، فهو المخطط وهو المستفيد المنتصر يزرع بأخيهم مئات اللاجئين .. وشعب أشباح جائعة .. وما ذنب أبرياء في خوض معارك طاحنة .. ما ذنبهم .. الخطأ منكم .. والعذاب والموت من نصيب الأبرياء .

دموع الأم تحولت إلى دم نازف يصب بقلبها ليكون أصعب حزن وأقساه .. خيانة ابنها ملح يرش على جرح، ولكن لا زالت عباراتها الباكية تخرج مختنقة :

من سيستعيد شرفي ؟

من سيستعيد شرفي ؟.. من لا يخونني ؟

ومتى سيصل النداء ؟.. ومتى يتحقق الحلم ؟

متى ؟؟؟

قد نكون .. موعودين بحياة أخرى

إلى أخي العزيز الذي قال لي يوماً: اقرئي، واسمعي، ثم اصمتي، ثم ....

ثمة حزن عميق يعربد في قلبي هذه الليلة، وثمة حكاية، عندما كنت أقف أمام ذلك البحر الذي بدأ يدس الخوف بقلبي بصوت مخيف، شيءٍ ما يسكن بقلبي، يثور، يصطدم، ينشطر، ينقسم، يصبح امتداداً لحزن طويل، طويل، يضيق كل شيء بدمي، يفور في عروقي، أشعر باختناق .. بدوار .. باحتضار مؤجل.

تصرخ في نفسي أسئلة عقيمة :

- كيف لي إطفاء هذه الثورة التي تجتاحني؟
- كيف لي أن أحيا دون ساعات احتضار؟
- ما السبيل إلى ذلك ؟
- ما السبيل ؟؟.

دموعي لم تعد تذرف ..فقد تجمدت في محجري من مئات السنين، عندما صهر قلبي .. في هذه اللحظات أحسست بأن البحر يناديني .. تقدمت خطوات .. أدلفت بالبحر.. حاولت التعجيل بإطفاء ما يثور بداخلي .. وبالتالي إطفاء اشتعال روحي، ولكنني وجدت صوتك يناديني ..

" أليس حزنك حزني؟!.. وبحثك بحثي؟!.. وموتك في كل لحظة موتي؟؟! فكوني.. واقهري حزنك، واغسلي غبار قلبك بالوهج الذي يسكن عينيك.

تراجعت.. وكأن صوتك انتشلني من بركان حزن كاد يطفئني .. أنا التي تسعى لما تسعى له أنت .. تسعى لحياة أخرى .

خرجت من البحر جلست على رماله .. تدور في ذهني كلمات .. أحاول تفسيرِها.. ودائما ما أجدها صادقة تحيي قلبي .. وتجعل لحياتنا لوناً وأملاً نسعى لتحقيقه .

أخي العزيز .. إن الحزن الذي يسكننا هو حزن على واقع مشين ومخز، حزن لما جرى ويجري، أوتدري أني أغبطك على قوتك في المواجهة ؟! أوتدري أنك أقوى منا جميعا نحن السابحين في سماء الحياة الأخرى ؟!، أنت واجهت، وتواجه، وستواجه .. وبدأت.. ولكنا لم نبدأ.. قد يكون ذلك؛ لأنهم عودونا على الصمت، عودونا على أن نكبت الحزن حتى ينهش قلوبنا. كل ذلك لا يهم، ولكن ما يهم كيف لنا أن نقتل هذا الحزن الذي يعترينا ؟؟.. كيف لنا أن نعيش بقلوبنا في هذه الحياة، وخلف هذا الأفق الممتد يكمن الدمار .. تكمن جنازيرهم ومديهم التي يعدونها لسلخ جلود اخواننا، ومن الأكيد أن الدائرة ستدور علينا، ولكن ندعي سذاجة أن الأمر بعيداً عنا ؟؟!!!.

أي أنانية نملكها نحن .. وأي خدعة نمارسها على أنفسنا .. ندعي بأن ذلك الأفق لنا، قد يكون بالتسمية ؟! ولكن ما لا نملك تجاهله هو أن أولئك المعربدين يعيثون فيه فساداً وتخريباً .. حتى نحن يملكوننا .. يملكون أن يقهروا إخواننا، يمارسون وحشيتهم بهم، يقيدونهم بالبحر، بالأسيجة، وبالسلاسل، بالعصائب حتى ألسنتهم يقيدونها.

آآآه .. يا أخي يقتلني هذا الحزن ألف مرة ومرة، لدرجة أني أصبحت أكره الليل الذي يجردني أمام نفسي، يظهر عيبي وانهزامي .. أشعر وكأنني أتصدع عندما أرى أولئك الذين أرادوا العزة لنا وقلنا: أقتلوهم .. إنهم يمارسون الظلم إنهم مرضى .. إنهم قاتلون .

أي عزة نملكها نحن الأذلاء بالصمت ؟!، وأي لذة عيش نرتجيها، وأخ هناك يقتل، وأم ثكلى تنوح،..و..و..و..ألف حزن يجمعنا وألف آه ؟؟! ، ولكن الحزن الأعظم على أنفسنا الصامتة .. الصامتة.

أقف ..أمضي بخطوات مترنحة، أرفع رأسي إلى السماء، وينتكس ذلا، فكيف لي أن أرفعه شموخا بين أبنائي، وأنا عاجزة عن أكون كتلك النجوم المتعالية بعزتها؟؟.

أخي أعطيتني المفتاح لأكون، وقلت: ولو قيدونا .. وكمموا أفواهنا؛ فلتصرخ أصابعنا ..فلنكتب..ولنكتب؛ لنغسل ذلنا بدمائنا كي تطفوِ حقيقتنا. إذن فلتكن يدك بيدي؛ لنكون، قد يكون الأمر صعباً.. ولكن لا بد من تسلق جبال كي لا نعيش بين الحفر .. لنبدأ .

أترك البحر، وارحل لبداية لا بد أن نصل إليها لنحيا حياة أخرى.

٢٠٠٢/١/٢٥م

ـ إهداء إلى أخي العزيز،الذي كتب ولم نكتب، والذي جسد معنى الحرية والتمرد.

الذين أشربوا الذل

ويأتي نداء السماء : " أن اجتمعوا يا عباد الله، ولبوا نداء السماء. فتتقاطر جموعٍ غفيرة نساءً ورجالاً، صغاراً وكباراً.. يسيرون جموعاً جموعاً كالموج. في هدوء تام .. يصلون إلى مكان بين السماء والأرض .. تختفي فيه معالم الأرض وتضاريسها .. تحيط بهذه الأرض المستوية سماء باهية الزرقة.. ونجوم لها لون الإشراق .. الوقت ليس بليل ولا بنهار.. وهنا تقف هذه الحشود؛ لترتفع أبصارهم إلى جهة الشرق من السماء .. لينطلق من هناك صوت من السماء: "أن يا عباد الله هذا هو النداء الأخير لكم.. فتوبوا إلى بارئكم، وإلا سيحل بكم عذاب أليم ".

الكل سمع النداء .. فتعلقت آذانهم وعيونهم بالسماء.. وقفوا مشدوهين.. شاخصة أبصارهم، وكأنهم تحجروا.. الكل صامت.. ولا يحرك ساكن.. الكل نسي نفسه ..ووقفوا سنين طويلة، لتمر بهم صورة طفل يطارده القناصة، فيهرول فزعاً .. ودموعه تجري سيلاً .. وصراخه يغرس سيوف الذل بقلوبنا. فتاة ينتهك سترها أمامهم.. ويقفون مقيدين أنفسهم .. مقيدين أنفسهم .. لا يتكلمون .. ولا ينطقون ..ولا ينبسون .. إمرأة تموت قهراً فكل أفلاذ كبدها تسحقهم قذيفة عدو لعينة ملعونة.. وقد نكون نحن الملعونين من رحمة الله.. شيخ يسير بجوار بيته، فينهال عليه رصاصهم الهازئ.. ونحن صامتون.. صامتون.

نقف جموعاً .. مشدوهين .. فاغرين أفواهنا، شاخصة أبصارنا إلى السماء.. وكأنما أشربنا الذل .. نرضى بالهوان .. نحتسي الشاي، ونشاهد أخاً يقتل.. نأكل الطعام ونجتره.. ومعه نجتر الذل.. وبغداد التاريخ تغوص في الوحل.. وقدس النبوة تصبح إسرائيلية.. ونحن نقف صامتين .. صامتين .

جموع.. مشدوهة.. فاغرة أفواهها.. شاخصة أبصارها إلى السماء تنتظر معجزة السماء ..

(متجاهلة أن الأوامر السماوية لا تأتي إلا لحزب الله المفلحين.. المقاتلين.. المقتولين في سبيل القرب من السماء).

ونقف ننتظر معجزة السماء.

ليلة سقوط بغداد ٩/ابريل /٢٠٠٣م
وادي المعاول /حبراء

مكاشفات

المكاشفة الأولى

(ثرثرة...)

وحدها الخطوط المستقيمة تحملك للفرح ..وحدها الأهواء تمزقك كيفما تشاء ..يا أيها الإنسان لم تفضل الاعوجاج على الاستقامة ؟!!

سأرصد حركتك أيها الطيني الهوى، وأتتبعك في الطرقات، ولأقعدن لهم صراطك المستقيم ..ولأملأن جيوب رأسك بجيوش من أفكار الشتات ..ولأحشدن لك الهموم والغموم وأغرسها بقلبك ..ستتبعني ولن أتبعك، وامرك فتنفذ، وتسقط في جهنم وأتبرأ منك ..لك تاريخ من العصيان ولي معصية ..فأينا أظلم من الآخر ؟؟!!..(على لسان الاعوجاج، حكاية من ظلال).

وحدها المكاشفات أقصر الطرق إلى الحقيقة؛ لذا ستكتب إليك مكاشفة، مكاشفة من خطايا وآثام، ستعترف لك أنها أخطأت بحقك وسلبتك أيام عمرك، ولم تكتف بذلك فاختارت أجملها وأروعها شبابك ..عشر سنين وأنت تلهث وراء آمال من سراب، وحلم جميل ،وهي الآسرة لك ..والملهمة في نفس الوقت.. أنت أيها الفتى الطيب القلب، الصادق الوعد ..أنت يا من بنيت لها معك قصوراً من غرام، ومدناً من سلام .. تعلنها الليلة أمامك :((أطلق نفسك من قيدي، وطر في سماء الحرية، كن أنت كما تحب وترضى، وليس كما أحب وأرضى)) ..هي التائهة في بحور اللارجعة، خذ قلبك وصنه عن آسرات القلوب، فهن يملكن أسر قلوب الكثير وتدويخهم بحكايات الغرام ولا يملكن أن يعشن معهم ..فلم كل هذا العناء، ما دامت ستصبح في أحضان غيرك ..وسيأسرها كما أسرتك ..ويقيدها بعقود ومواثيق أمام أناسها؟؟!! ..فدعها واشتر سنين عمرك القادمة مع أخرى ،ولا تخطئ كما فعلت سابقا وأعلنها أمام ربك وأهلك وأناسك حبيبة وأرضا لك وسماء.

بتاريخ: ٢٠٠٦/٩/١١م

المكاشفة الثانية

(لأنك أنثى تسكرين ؛ستكسرين)

حكاية الملكية القسرية لم أدرك ألمها إلا بعد قصر أمل الحرية ..سأقص ألم حكايتي ومن الأكيد أنها حكاية لألف أنثى . قالوا : بأن عمرك كلما مر صار ضدك ، قالوا :بأن البنون زينة حياتك الدنيا .. لم أدرك صعوبة الاختيار إلا بعد أن وضعت في زنزانته، جاء ابن العم خاطبا ،يرغب في أن أكون زوجته " أسيرته "، كما يريد هو لا كما أريد أنا ،يسانده العرف والعادة والتقليد" زوجتك ملكك إلى أقصى درجات الملكية " ، وأوى إلى ركن شديد من الترحيب السخي من أسرتي ،وأويت إلى ربي ليعصمني من طوفان طغيان هذا الأسر بصلوات من الاستخارة وقضاء الحاجة والاستغاثة .ركبت سفينة نوح وعرضت عليه أن يكون من أهلي "يساندني فيما أكتب "،فقال : سآوي إلى جبل يعصمني من ماء حبرك ،وليغرقك طوفان الكتابة ..هكذا جاء جوابه، لم أعلم بأنك تكتبين ويشهر أسمك على صفحات الجرائد، فضيحة أخرى بدأها حبرك المسكوب على الورق ،ولو كنت اعلم غيب أمرك ما طلبتك مملكة .. "يا سبحان الله ..الكتابة محرمة على إناث أمتهم ،حلال على ذكورها !!" . ألم تعلم أيها الرجل أن شروعك بعقد شراكة معي وطلب قراري ،أفقدني راحة البال وبضعة كيلو جرامات من جسدي ،وأورثني هما وحزنا ،وحيرة وألما ،قراركم يبدأ من عرض أنفسكم علينا خالين من العيوب ،"دون مكاشفة "!!.. وانتظاركم لجوابنا انتظار لنتيجة تعلمون أن مفادها "قبول أو رفض "،وأي الجوابين هو ربح لكم ،قبولكم ربح عاجل ،ورفضكم استثمار آجل.يغيثكم ملأكم بالتأييد ،وبإناث أخر ..ونستغيث برب الكون،ويحسبون أنني أنثى سأكسر ؛لأني اسكر ..وتجي امرأة عم أخرى ؛لتأسرني بمملكتها "أقصد بمملكة أبنها"!،ولا يدركون بأني أنثى قارورة أوصى نبيًّ بالرفق بي !!!!

مساء الاثنين

١٦/١٠/٢٠٠٦م

(حبر...!!)

لأنك أنثى قارورة في تركيبتك ،وفي قلبك ،وقلوب القوارير أجملها أنقاها ،وأصفاها ،وأصلبها ؛ لذا حرارة آراء المجتمع ستحاول إعادة تشكيلك كما تريد ،لا كما تريدين ،وضغط رجالها سيحول دون انتشاء روحك ،ويشتهي ثباتك إلى رجل يحبون ويرضون.. أتعلم يا أيها الخطيب المغامر أنك أفقدتني حنان أقرب أخوتي إلى قلبي ،فجادلني ،ولكن ليس بالتي هي أحسن : "ماذا تستفيدين مما تكتبين ؟؟!" ،و "أترك هذا الأمر" ، "إن أحببت،أكتبي ،وادفني دفاتر حبرك" ،لتكن مؤودة أخرى ،في تاريخ جاهليتهم ،ولتسأل بأي ذنب قتلت ؟! ، "كبرت والعمر يمر مر السحاب" ، "من سيأتيك أفضل منه" ، "ألا تريدين أبناء وبنات يملأون حياتك بهجة" ، بل قل صخبا ، تغامرون بأسرنا ونغامر بحرياتنا ،وتجادلون فيما ليس لكم به علم ،ونجادل فيما لنا به حياة ..

بتاريخ :١٧/١٠/٢٠٠٦م

المكاشفة الثالثة

(عبثهم!!! ..)

ستضاجعين الهم قليلا هذه الليلة مكرهة تحت سلطة شائعات أثيرت ضدك ، قيل "بأنك تكتبين والكتابة معهم خطيئة" وقيل "أنك تكتبين ،وتنشرين أموراً لا يستطيعون الحديث عنها" تنويها بخطايا وآثام مستورة عن أعينهم .

أنت وظلمات شائعات تسري بقريتك الصغيرة ،تتداول حكايتها وتفاصيلها ألسنة نساء كثر ،وقد يمتد الأمر إلى الأدهى والأمر "شبابها" ،يدافع عنك من يشهد بصلاحك ،ويستلذ بتفاصيلها وإفشائها من تستهويه الشائعات ..ويسقطون أستار الحكاية ،ويطالبك من يشاء بتنازل عن قلمك وما يسطر أو من كان يساندك فيما تكتبين بدفن لتفاصيل حكاية ،وبدخول في عالم مجتمعهم ، عالمك أصبح معهم رذيلة ،وعالمهم فضيلة ..

لم تصل إلى حالة يأس كهذه ؛لذا قررت في ساعة ما أن تطالبي الخطيب المنتظر بالرجوع إلى خطبتك مرة أخرى، وهنا ستكون نهاية حكايتك مع الكتابة، ستصبح الكتابة نزوة عابرة، وسيصبح عالمه وعالم أبنائه هو الحرية التي أرادها لك ،وسيصدر حكم بإنزال العقوبة إذا ما قررتِ نشر ما تكتبين ،لن تكون أقل من انفصال أبدي.

٢٠٠٦/١٠/٢٨م

المكاشفة الرابعة

هذه المكاشفات شيء من ظلمات تحاول أسر آلاف النساء.

المكاشفة الخامسة

رجل وامرأة (كون من الحب والرحمات)..أسر ما يقوله الآخر حوله إلى (كون من الاستبداد والاستعباد)..

٢٠٠٦/١١/٢٦م

مكاشفات على شفا الروح

المكاشفة السادسة

خطأ واحد في حقهم كفيل بسحقك في دركات السقوط، وخطيئة واحدة في حق الإله قد تكون كفيلة بمحوك من درجات الترقي، لا يقبلون تفاوضاً، والإله يقبل ذلك، يحكمهم التغيير، والنعمة العظمى (رب لا يتغير، ويشتاق إليك في جميع حالاتك "مذنب أو مطيع")، فهل يفعلون؟! وهل يستطيعون؟؟!!!

المكاشفة السابعة

يوم من الوجود في عالمهم هو تاريخ ميلادك معهم، ويوم آخر من اللاوجود في عالمهم هو تاريخ نسيانك من ذاكرتهم، المفارقة، مفارقة الأزمنة والوجود، وسنة واحدة كفيلة بإقالتك من ذاكرتهم، ومشاعرهم، يبكونك يوماً أو أسبوعاً أو شهراً، والسنة كفيلة بإنهاء اتفاق المودة معك، لأنك أصبحت في عالم ليس بعالمهم، ينسون؟!!.. وهل يجيد الحب من ينسى؟!.. تذكر من يجيد حبك ولا ينساك..

المكاشفة الأخيرة

البكاء بداياتك..ولكنك لا تجيده في النهايات، هناك من يجيده غيرك..

٢٠٠٧/٧/٣م

سيمفونية الألم



جئتما إلى هذا العالم وخيار الصمت كان البداية.. وأعذب الصمت وأصدقه هو صمت البدايات..صمت يجيد الإنصات إلى كل شيء "كلمات..ونغمات..ومشاعر"، وأشياء أخرى قد لا تنصتان إليها وقتما ينتهي إيقاع هذا الصمت. دلفتما إلى عالم الأشياء، مكتظ هو بالأصوات، والصور، والحركات، والمشاهد، والانفعالات، يدهشكما بالجديد، وكل شيء هو قديم بالنسبة لغيركما، وأنتما الجديدان وكائنات أخرى، دخلت معكما خيار الحياة في نفس الساعة أو اليوم أو .. تتعالى وتيرة هذا الصخب، وعليكما التقاط أكبر وأوسع بل وأعمق كم من هذه التناقضات أو المتناسبات، لتجدا مكاناً في خضم هذا الزخم الكوني الممتد إلى حدود في عالمكما، وإلى اللاحدود في عالم من أجاد سعة هذا الوجود من حيث الأزمنة والأمكنة والكائنات والمكنونات.. فأنتما وجدتما قبل هذا الميلاد في سطور اللوح المحفوظ، وأنتما الآن في عالم المحسوسات بعدما تقرر هذا الإيجاد الذي لا يتطلب من الخالق سوى قوله: "كن"، فيكون، ولكنها "كن" المليئة بالنظام، وليس ما نبعثر نحن من عشوائية في هذا الوجود..أنتما ومن يشمله هذا الوجود الكوني أصبحتما ضمن نطاق الوجود.. والوصية الأولى والأخيرة إجادة هذا الوجود.

أنت.. ولجت لعالم أناسك، وهي.. كذلك زجت في عالم أناسها، كان هذا بحكم القدر وباختيار رب الخير، أجاد لكما اختيار الأمهات والآباء ومن إلى جوارهما من أناس، وظرفي زمان ومكان، وهنا ستبدأ لعبة يحكمكما الجهل بقوانينها، ويسعفكما العلم بأهم اتفاقية فيها، عقدت معكما، ومع من سبقكما، وجاء معكما، ومن سيأتي بعدكما، وكنتما في عالم الذر في ظهر الأب الأول "آدم"، لحظة ذاك كنتما في عالم مجهول، وكان هذا الاتفاق المؤشر الذي يملؤكما بالانتشاء والارتفاع، ويبشركما بأمل المغفرة التي تقتضي العبودية الكاملة للواحد المعبود، وهنا سر النجاح في هذه اللعبة.. وهنا يكمن التحدي، وأول التحديات الصمت وإجادة الإنصات في

ذات الوقت، وهنا التشكل يعتمد هذين المحيطين اللذين تسكنان.. يشكل هو، وتشكلين حسب ما يهووا هم لا كما تشاءان.. فينتصر المحيط على طينتكما الهشة أو اللينة، فروحكما لم تنضج بعد، هي مليئة بالبدايات الجميلة والبريئة، وهم مليئون بالنهايات العميقة والمشينة في بعضها. يتشكل جسدكما في اختلاف بشري رائع، هو الفتى "الرجل"، وأنت الفتاة "المرأة" بكل ما في هذا التشكل من اختلاف، لم يختر هذا التشكل، ولا أنت، ولكن القدر والخصائص الموروثة إلى أبيكم الأول "آدم" وأمكم الأولى "حواء"، فيظنون أنهم من أجاد هذا التشكل أو من سعى لإجادته، ولا يكتفون بذلك، فيعيدون أو يعبثون بعض الشيء أو بكل شيء.

وهنا تقرع أجراسكما الداخلية ببدء هذه اللعبة والتهيؤ لها. اكتملت رحلة الصمت بنطق البدايات،(نمو أجساد، وحروف، ولغات، وعلاقات) اتسعت دائرتكما، ونطاق عالمكما من رحم أم إلى جوف أسرة ثم إلى فضاء مجتمع..مجتمع تشكلت فيه جبال من قوانينهم، ومعهم سماوات من أفق كتاب السماء، وسماواته أكثر رحابة وامتداداً وسعة من أرضيتهم المشوشة والمحبة للتبعية. تركضان في أودية الحياة، وتتساقطان مطراً من حياة، وتمرحان بالبدايات الكونية والنهايات تغزوكما بالنعاس والكسل، بدايات "نهار"، ونهايات "ليل"، وعبرهما أو بينهما تتصارعان وأحداث اليوم "العمر"، تبحثان، وتفتشان، وتنجذبان لنور سماوي، متصل بنوركما الداخلي.. تصطدمان بخيري الحياة وشرها، مجبرين على خوض هذا العراك، والإجبار هنا باطنه نعمة وظاهره الكدر.. البدايات تشي بالانطلاق واللاحدود، واليوميات تشي بأمور أخرى.. تزيحان ظلمات، وتتسابقان إلى النور.. هنا تحدث اصطدامات بأمور كثيرة من تخطيط القدر وعنوانها الرحمة، والتي لولاها لأصبح ماء الحياة آسنا خلاف الحياة، ومن تشويه البشر وعنوانها الشقاء، وسيقولون للوجع نهايات، فمن سيمحو آلام البدايات،.. وبحثكما يزداد سرعة وعمقاً، تبحثان عن نور، في

رحلة نحو الاكتمال والانتصار، هو يبحث وأنت كذلك، وتودان أن يكون لكما مع النور حكاية بعدما لامستما شيئاً من نوركما الداخلي، وهنا يأتي القرار بالاكتمال الإنساني، لإعلان هذا الوجود، فتصدمان ببوابات القوانين البشرية، وسلاسل الأعراف والأهواء، فتوجدان جسوراً من أمل، فتكسر، وتمدان أسرجة من نور، فتطمس، فتنبذان وتقمعان،و.. هنا للألم معكما حكاية، وللحبر حكاية أخرى، والأجمل أن الحبر يعيد إحياء هذا الألم، ويسجل انتصارات الروح وهي تعلو وتعلو، فتنير، وتحيي وتزهر، ويسترجع أنين هزائمهما وهي تخفت، ثم تتقافز ألماً، وتتشبث بالروح أكثر وأكثر، فليس للوجع من نهاية سوى مقابره الأزلية بالقلب والروح.

يوجعكما ألم الحكاية، والموت أرحم من ألم الحكاية، فتشوا عن ألم الحكاية علكم تجدون آلام أناس أخر "أطفال..نساء.. رجال..شيوخ، كائنات أخرى.." وعلَّ من لا يرحم، يرحم.. وتظل لعبتهم حكاية، وغطرستهم حكاية، والروح هي روح الحكاية.

٢٠٠٧/٧/٢م

ملاحظة:

جاءت حروفك مطابقة للحكاية،فهل علمت سر الحكاية؟؟!

نص الرسالة (رسالتك):

"لعبة الحياة تكمن في بحث الإنسان، في تساؤلاته وتأملاته وتفكره المتواصل في ذاته والآخرين والحياة بحثاً عن الحقيقة والنور والحياة، وليس في امتلاكه للحقيقة والنور منذ البداية.

هنا يكمن سر خلق الإنسان، في إمكانية وصوله للحقيقة والنور، في إمكانيته تغيير ذاته والعالم . لو أراد الله للناس أن يمتلكوها دفعة واحدة لمنحها لهم مثل الملائكة، لكن الإنسان يتحرك منذ طفولته وحداثته في دائرة محدودة من الوعي والمعرفة، ومن هنا مشروعية التجربة والخطأ والمحاولة التي هي ضرورية ولا غنى عنها لنمو الإنسان، وتفتح طاقاته ومواهبه وإمكاناته. وهكذا يكسر الإنسان المتطلع للنور والحياة باستمرار إطار الدائرة التي تحد ذاته عن الانطلاق (مفاهيم وعادات وثقافة سلبية معيقة) ليحقق ذاته المتفردة المبدعة للخير والنور والحياة،وهكذا يغتني الوجود وتتعمر الحياة بالعطاء المبدع المنير لبشر أحرار يضيفون جديدا للحياة، ولا يكونون عبئا عليها" .

تفاصيل الرسالة:

من: ....+٩٦٨٩

الموضوع: لعبة الحياة تكمن ف ...

التاريخ: ٢/٧/٢٠٠٧م

الوقت: ٨:٤٠

النوع: sms

أساطير عشق

سيمفونية النور والحياة

١٠٣

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

كل الأزمنة والأمكنة اختصرتها في هذه اللحظات (سماء وأرض)، وليس لي بالأرض إلا زرقة البحر.. سماء وبحر وبينهما لا حدود لكل شيء.. كان الوقوف انتشاءً وامتلاءً، وصعوداً لنقاء البحر والسماء وأنا بينهما.. قادمة من عالم الظلمات إلى النور.

كان الوقوف طويلاً..والبحث عن مصدر نورهما صعباً، لذا كان وجودك يا أيها الإنسان اصطداماً بواقع من ظلمات.. كنا نبحث جميعاً عن نور، عن نور وحياة، لذا كان النور، والصعود إليه تحتمه الرغبة. هنا وجدنا سلماً للنور، فكانت الأمتعة لنا جذوراً ثابتة، والطيران يلزمه أجنحة، فكانت الجذور والأجنحة، فقفزنا معاً للسلمة الأولى، فكان الفرح بنور، والسلمة الثانية، تأكيداً لوجوده، والثالثة مواصلة لأمل نور أعمق وأجمل، والرابعة ثباتاً على نور، والخامسة انتشاءً بفيض، والسادسة ارتقاء، والسابعة تقرر بأن النور واحد، والحياة واحدة، لذا فلا مجال للحدود.. هنا أدركنا بأن السعادة لا تقبل التأطير، لذا نحمل جذوراً من ثبات، وأجنحة من طموح..فحياة ونور.. سماء وبحر.. انطلاق، وانتشاء.. وما زال الصعود، وما زال البحث، لذا نغرس جذوراً ونزرع أجنحة لملايين البشر، لنصل إلى معنى النور والحياة.

الأربعاء ٢٠٠٥/١/٥م

شهاب قبس

هذه المساءات تختلف عن غيرها في كونها تعيد اكتشاف هزائمنا.. وتحيل الألم إلى أمل.. والثورة والغضب التي يعقبها صمت أبدي إلى حديث من نوع آخر .. هذا الحديث من نور.. لأول مرة يسطع على مرآة ذاتي والآخرين .. حواراتك كانت هذا النور الذي أعدت به اكتشاف الذات.

هنا أقف أمام هذه المرآة .. التي كانت معي، ولكن الظلمات من حولي جعلتها ضمنها ظلمات من فوقها ظلمات .. لذا كان السقوط متوالياً .. والحفر في طريقنا تتسع الواحدة عن الأخرى .. والمكوث فيها يطول .. والتخبط في طريقنا يزداد .. كان الوقوف صعباً .. وفجأة يتبدى أمامي شهاب قبس من نور تهديني وهجه حواراتك.. إنسانيتك.. لذا وقفت هنا أتأمل ذاتي في مرآتي الداخلية.. كان الاكتشاف اصطداماً بحقائق.. ومنها" أني ومن حولي مدوخون.. جردنا من كل ما يمت للإنسانية بصلة، تم اختزال أرواحنا .. عقولنا.. حقوقنا.. حريتنا".. اكتشفت بأنا مسلوبون.. واللصوص أقوام اعتبرونا خطراً على جنسهم، فسلبونا كل شيء عدا الأشياء التي تبقينا أحياء كالكائنات الأخرى.. فلم يكتفوا بأن يكونوا ولاة مصائرنا، بل ولاة لعقولنا.. وأرواحنا .. ولكل شيء، فحولونا لخواء.

والجريمة بشعة أبشع من كوننا مهزومين.. أن تهزم في قوتك.. ألم ، وأن تسلب كل ما منحك الخالق.. مأساة. هنا حاولت التركيز في هذه المرآة وتفاصيل ما جاء فيها فاكتشف إشعاعات من النور مفادها:

- أني إنسان .. روح، وعقل، وحرية.
- هذه الروح مهداة من الكمال .. إذن هي قوية.
- قوة الروح تسمو بهذا الجسد الذي تسكنه.

أنوار .. أنوار تضيء فيصبح اكتشاف الذات أعمق وأصدق.. لذا يا أيها الآخرون.. لا تسلبنكم الظلمات أنواركم.. قدراتكم.. حرياتكم .. كم هو عظيم قدرك أيها الإنسان .. كم هو عظيم.



حقوق الطبع محفوظه
لوزارة التراث والثقافة
٢٠٠٧م

رقم الأيداع/٢٠٠٧/ ٤٠٠

لا تحيلك نصوص سعاد علي العريمي في مجموعتها القصصية